

الكتاب الثاني

الشرق خلال العصر الروماني

## ١- الشرق تحت الحكم الروماني

سبق أن تحدثنا عن واقع العالم الهلينستي المتطاحن المتصارع من قرب نهاية القرن الثالث ق.م، وكيف حارلت دولة الكبرى التوسع على حساب الكيانات الصغرى. وكيف أدى واقع التمزق الذي عاشته دول العالم الهلينستي الى تمهيد السبيل أمام روما لكي تسيطر عليها واحدة تلو الأخرى.

كانت أول الدول الشرقية سقطا في يد الرومان هي برجاموم التي ورثتها روما عن أنطونوس الثالث ١٢٢ ق.م. وقد حارلتها الى ولاية رومانية منذ عام ١٢٩ ق.م باسم ولاية آسيا. تلتها بثينيا وقد حولها الرومان الى ولاية في عام ٧٤ ق.م. كما كونت روما ولاية من إقليم كيليكيا في جنوب آسيا الصغرى وضمت اليها قبرص وكان ذلك في الفترة بين ٦٤ الى ٥٨ ق.م. وحول بومبي سروريا الى ولاية رومانية بعد استسلامها له في عام ٦٤ ق.م. وضم أكتافيروس مصر الى أملاك الشعب الروماني في عام ٢٠ ق.م. وصارت جلاتيا ولاية رومانية في عام ٢٥ ق.م. وهكذا تكررت الامبراطورية الرومانية قبل وفاة اغسطس اذ إكتفى الاباطرة من بعده باضافات هامشية، كما قسموا الولايات القديمة الى أعداد مضاعفة من الولايات الجديدة ،

فتزايد عدد الولايات حتى بلغ أربعا وأربعين ولاية في عهد السفيريين وما يقرب من مائة في عهد قسطنطين (٢١٢-٢٢٧م). والمناطق التي فتحتها الامبراطورية الرومانية في الشرق بعد أغسطس هي كبادوكيا (١٧م) بيفيليا ولوكيا (٤٢) وتراكيا (٤٦م) وبلاد العرب النبطية (٦٠-١١م) وولاية ماين النهرين (١١٥م) وولاية آشور (١١٥م). وبالنظر الى الخريطة يتضح أن هذه المناطق الجديدة تقع على حراف وحدود الامبراطورية، فضلا عن أن أغلبها لم تكن فتحا ثابتة بل تقلبت تبغيثها بين الرومان وغيرهم مرات.

والواقع أن العوامل التي دفعت الرومان للتوسع اصلا كانت دوافع وقتية في البداية فرضت نفسها على التفكير الروماني، ومن ثم جاء هذا التوسع بغير خطة مدروسة. فبداية إتجاه روما للتوسع في شرق البحر المتوسط جاءت بسبب رغبة روما في حفظ التوازن في هذه المنطقة بين حكام العالم الهلينستي بحيث لايتضخم نفوذ واحد من هؤلاء الحكام على حساب الآخرين. ومن ثم يصبح هذا الحاكم بعد تزايد نفوذه خطرا يهدد

(١) يطلق على سكان المنطقة النبطيين وكانوا يعملون بالتجارة؛ حيث حققوا ثراء كبيرا بتجارتهم في بضائع جنوب الجزيرة العربية. وقد حاول أنتيجونس في عام ٢١٢ أن يهزم عاصمتهم البتراء دون نجاح. وبقي ملوكهم مستقلين عن السلوقيين أيضا. إستولى لرتلس الأول ملكهم في عام ١٦٩ ق م على مزاب واحتل لرتلس الثالث في عام ١٦ ق م دمشق ولكنه انسحب منها قبل وصول تيجرنيس في عام ٧٠ ق م. أصبح النبطيون فيما بعد حلفاء ولتباعا لروما أيام ملوكهم عبيدة Obedas الثاني ٦٢-٤٧ ق م ومالخورس الأول ٤٧-٢٠ ق م وعبيدة الثالث ٢٠-١ ق م ولرتلس الرابع ١ ق م ومالخورس الثاني ٤٠-٧١ ق م و Rabilus ٧١-١٠٦ م. وقد حول الامبراطور تراجان بلادهم في العام الأخير الى ولاية رومانية باسم الولاية العربية.

روما ومصالحها من الشرق.

ثم تزايد التدخل الروماني بسبب لجزء الفرقاء المتصارعين إليها لكي تحسم الخلافات بينهم. صدق هذا على الأمراء المتصارعين على عرش إحدى الدول كما صدق على الدول المتصارعة بهدف توسع أحدها على حساب الأخرى. وهكذا أصبح التدخل الروماني في شئون دول شرق البحر المتوسط أمرا واقعا متكررا خاصة بعد إبتصاراتها في حروبها المقدونية وحروبها ضد الدولة السيلوقية. وتضخمت هيبة الرومان في نفوس حكام الشرق، حتى أنها في أحيان كثيرة كان تكفي بإرسال مندوب أو مجرعة من البمبرثين لفرض رأيها عوضا على تحرك الجيوش وإعلان الحروب (١).

أضاف إلى هذا العامل وغذاه ما خلقه الصراع الداخلي في روما من رغبة الزعماء في تحقيق إبتصارات تحسب لهم عند حسم الصراع على السلطة في روما. ومن ثم بدأ التنافس بين الأحزاب في سبيل ضم هذه المنطقة أو تلك إلى أملاك روما. ووصل التنافس بين الزعماء

الرومان من أجل قيادة حملة عسكرية إلى حد الصراع السافر واللجوء

إلى الأساليب والنزوات غير المشروعة (٢).

(١) ذهب كاتر وماه سفينة للانشيلاء على قبرص ، ولم يجد الملك البطلمي هناك من طريقة للتخلص من المأزق الإيلاستلر بدون مقاومة ، وذهبت قبرص إلى أملاك روما

دون حرب فوزى مكاري ، قبرص تحت حكم البطالمة منطحا ١٦٨٥ م

(٢) راجع تفاصيل الصراعات بين القادة الرومان في القرن الأول ق م . فسلا يفتزو روما في

عام ٨٨ ق م من أجل تأمين قيادته لحملة على الشرق . وبرمبوس وكركسوس يتخالفان من أجل نفس الهدف ويندمهم الفرنسيان . فوزى مكاري ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٦٢ م.

جايرس، واستطاع أن يطرح الولاة لروما بعد عودته بقليل. ولكن  
الامبراطور لم يسمح للاحداث على الحدود الشرقية أن تتجاوز هذا الحد  
رغم وقوع مشاكل داخلية في كل من أرمينيا وبارثيا خلال السنوات العشر  
الآخيرة من حياة الامبراطور.

أن سياسة أغسطس تجاه أرمينيا وبارثيا كانت وسطا بين سياسة  
تيسرو أنطونيوس الهادفة الى هزيمة أرمينيا وبين تركها صراحة للسيادة  
البارثية. الاتجاه الأخير الذي كان الحل الأمثل للرومان بالنسبة للمشكلة  
الشرقية كان يواجه مقاومة حقيقية في روما، أما الحل الأول فكان مغامرة  
غير مضمونة العواقب. أما سياسة أغسطس فقد آمنت الحدود الرومانية ضد  
الغزو وخففت من ذكرى الهزائم الرومانية السابقة بدون خسائر ضخمة  
سواء في الرجال أو المال.

بقيت بعض القبائل الجبلية في جبال طوروس ترفض الخضوع  
للرومان ولم تستطع حملات Servilius Iscauricus ولا بومبي أن تفرض  
عليهم التبعية لروما. وقد طلبت روما من الملك الجلاطي ديوتاروس وخليفته  
أمرتاس أن يمارسنا بعض الرقابة على القبائل المتمردة. وبعد موت  
أمرتاس في عام ٢٥ ق م ضم أغسطس جلاطيا وتولى مسئولية إقرار السلام  
في الهضبة الوسطى.

لم يتخذ في البداية أي إجراءات أكثر من بناء مستعمرة عسكرية

في أنطيوخ في Pisidia. ولكنه أمر فيما بين ١٢م واحد ميلادية أمر حاكم جلتيا P.Sulpicius Quirinius أن يطارد الهرموناتيس Homonadeis اللصوص في غاباتهم على الحدود تجاه كيليكيا. وبعد عدة حملات شاة استطاع كيرينيوس أن يهدئ هذه المنطقة بأعادة توطين السكان في السهل القريبة وأقيمت سلسلة من المستعمرات الجديدة - كانت لوسترا Lystra هي المستعمرة الرئيسية بينها. لكي تخدم كنقاط متقدمة للقاعدة الرئيسية في أنطيوخ (١١).

(٢)-الشرق في عصر الإسكندر لايوليوكلاودية:

يهودية:

كانت منطقة الاضطراب الرئيسية في شرق البحر المتوسط أيام الإباطرة المبكرين تقع في فلسطين، حيث ظل السكان اليهود مصدر قلق وتمرد تحت الحكم الروماني . وطبقا لاتفاقية أغسطس مع السناتو فإن حكام يهودية كانت لديهم تعليمات بالسماح للسكان بممارسة عبادتهم الخاصة. وقد مارس الكاهن الأكبر يساعده مجلس السنهدرين Sanhedrin في لورشليم السلطات المعتادة لحكومة مستقلة في شئونها الداخلية والقضاء والدين دون تدخل؛ وفي مقابل هذه التنازلات كان كبار الكهنة

-----  
(١) M. Carry & H. H. Scullard, Ibid, P. 333.

ولتحقيق أمن الامبراطورية وجد الرومان انفسهم مضطرين الى الاهتمام بحماية حدود الامبراطورية مع جيرانها من دول لو قبائل. وقد أدى هذا الى قيام الامبراطورية بتألمة نظام دفاعى وتحمينات على الحدود والدخول فى الحروب والتفانات مع جيران الامبراطورية فى الشرق. ولكن أمن الولايات لايتحقق فقط بحماية حدودها وانما بالسيطرة أيضا على الولايات نفسها فجملوا لكل منها حكومة هدها الأول ضمان لمتها. كما لجأت الامبراطورية فى أحيان كثيرة لقوات الجيش لكي تضرب أى محاولة للتمرد بين السكان. ولعل هذا يفسر التمديلات الكثيرة التى طرات على حدود الولايات الشرقية بضم البعض لو فص فى ولايات مستقلة.

## استغلال رومنا للولايات الشرقية

ضمت الامبراطورية الرومانية مناطق شرق البحر المتوسط وصارت كل بلاده ولايات رومانية. وبمقتضى اتفاق تم في عام ٢٧ ق.م. ثم اقتسام الولايات بين مجلس الشيوخ والامبراطور لإدارتها والملاحظ أن الإمبراطور قد إختص في هذه الاتفاقية بالولايات المنضمة حديثا الى الامبراطورية وكذا الولايات الواقعة على الحدود فقد كانت الأمور هناك ماتزال بعيدة عن الاستقرار وفي حاجة الى تواجد عسكري مكثف. بينما كلف مجلس الشيوخ بادارة الولايات التي إستتبت لمرورها وانتظم الولاء فيها للرومان. والشرق في أغلبه يقع ضمن الولايات الامبراطورية، فيما عدا استثناءات بسيطة كولاية آسيا مثلا. والمعروف أن الولايات التي خضعت لمجلس الشيوخ كان يحكمها قناصل سابقون لو برايتورز سابقين وتلك التي تتبع الامبراطور كان يحكمها ليجاتوس لو بروكوراتور ولكن مصر وحدها كان يحكمها مرطف آخر يدعى Praefectus وقد حاول المزرخون القدامى والمحدثون أن يجدوا تفسيرات لهذا التصرف وغيره تجاه مصر في إهتمام الباطرة ابتداء من اغسطس بتأمينها حتى لا يصيب أحد إيطاليا بجماعة عن طريق السيطرة على تلك الولاية ومنافذها البرية والبحرية.... (١).

(١) زكي على ، كليوباترة ، القاهرة ، جون . حرم . ١٥٢ - ١٥٧

وقد عانت الولايات تحت الحكم الروماني ظروف القهر السياسي والاستغلال الاقتصادي ومع ذلك لم تتوقف المقاومة المحلية أملاً في غد أفضل كما لم يتوقف إنسان هذه البلاد عن الإبداع والاتاج.

ويميز المؤرخون عادة بين فترتين من حكم روما للولايات الأولى : فترة الجمهورية وقد تميزت بإستغلال روما للولايات التابعة لها بشكل عنيف وشنع. والثانية العهد الإمبراطوري، فإن الولايات باستثناء مصر أصبحت لاتخضع لاستغلال منظم وأناثي بمعركة روما.

كان الاستغلال الاقتصادي للولايات في العصر الجمهوري يسير في طريقين؛ إستغلال رسمي تمارسه الدولة نفسها وإستغلال خاص يقوم به بعض الخواص الرومانيين.

١ - الاستغلال الرسمي كان يبدأ مباشرة بعد انهزام الشعوب. أعداد الأسرى العبيد والغنائم والغرامات الحربية. فضلاً عن إعتبار أراضي المهزومين من أراضي الدولة الرومانية *Ager Publicus* وكانت هذه الأراضي تخضع للتوزيع على الرومان أو تترك للأهالي مقابل أداء أتاوة يختلف اسمها وشكلها من إقليم لآخر. وكانت هذه الأتاوة تدفع إما عينا أو نقداً.

يضاف الى هذه الأتاوة ضريبة أخرى مباشرة وهي ضريبة الرؤوس *Tributum Capitis* وتزدى على الأشخاص أنفسهم كما كان الحال في

مصر وفي يهودية، وهناك ضرائب غير مباشرة كالمكوس والضرائب على  
إنتاج الرقيق وضريبة بيع العبد. بالإضافة إلى ما سبق كانت بعض الولايات  
ملتزمة بالمساهمة في تمرين روما بالقمح كما كانت روما تلزم كل ولاية  
بتمرين الحامية العسكرية للمستقرة فيها، ومن ذلك مثلا ما فعله سلا في ولاية  
آسيا (١٨٥ق م) عندما فرض تمرين جيش على حساب مدن هذه الولاية.

ولم تكف روما بكل هذه الأشكال الاستغلالية، وإنما فرضت أشكالاً  
أخرى من التدخل السافر في الاقتصاد فمنعت بعض الولايات من زراعة  
بعض أنواع الأشجار حماية لإنتاج إيطاليا.

ب - إستغلال المواطنين الرومان للولايات. ويمكن أن نحدد  
نوعين من المستغلين. فهناك الولاة وأعرانهم الذين كانوا يستغلون نفوذهم  
بتجميع الثروات على حساب الأهالي وكذلك على حساب الدولة الرومانية  
والأمثلة متعددة منها عدد من ولاء آسيا. وكان الولاة بصفتهم عامة يستغلون  
نفوذهم لمصادرة أملاك الأهالي ورفع قيمة الضرائب، كما كانوا يستفيدون  
من غنائم الحروب التي يشنونها في الولايات لمثل حملات بومبيوس في  
الشرق بالإضافة إلى الهدايا التي كانوا يتلقونها من أعيان المدن أو من  
شركات ملتزمة بجباية الضرائب.

والأخرون كانوا النوع الثاني من المستغلين. فقد كان ملتزم جباية  
الضرائب - وغيرهم من التعاملين في شئون الولايات الاقتصادية - على  
إتفاق مع الولاة في غالب الأحوال على إتساع الأرباح وتنظيم الاستغلال.

وبالنسبة للشرق نجد أن شيشرون نفسه قد لوضح في إحدى رسائله إلى صديقه تيكرس (١) كيف كان يوفق بين مصالح الجباة وقدرة الأهالي على تسديد الضرائب. ولما رجع إلى روما كان هو نفسه قد جمع قدراً كبيراً من المال. وبالإضافة إلى جباة الضرائب كبار التجار الذين تعاملوا في القروض بفوائد مرتفعة بلغت ٤٨٪. ويكفي دليلاً على مدى تأثير روما بما كان يجري في الولايات قول شيشرون "صدقوني إن كل قروضنا وكل الأعمال للمالية التي تبرم هنا في الفورم مرهونة بمداخيل ولاية إسبانيا".

ولذا كانت هذه هي حالة إستغلال روما للولايات في القرن الأول ق م فإن التغيير الأساسي الذي حدث خلال العصر الإمبراطوري كان إستبدال ملتزمي جباية الضرائب تدريجياً بعدد متزايد من الموظفين العاملين لمصالح الإمبراطور.

وقد سبقت الإشارة إلى تزايد قوة الحكومة المركزية الذي إتسمت به الإدارة في عهد الأباطرة. ومنذ عهد أغسطس أنتزعت الدولة من الشركات جباية الضرائب المباشرة للضرائب العقارية وضريبة الرأس. وأصبح الأهالي يزدونها مباشرة إلى الدولة. أما الضرائب غير المباشرة، فظلت تسند إلى الجباة الملتزمين تحت مراقبة موظفين يعينهم الإمبراطور لهذا

---

(١) T. Pomponius Atticus وهو رجل هنك شديد الشراء، إتخذ موقف الحياد سياسياً.

النرض تحت إشراف البروكوراتوريس Procuratores.

وقد أدى تشديد الرقابة على شركات ملتزمى الضرائب الى التقليل من أرباحهم ومن ثم بدلت تتقلص حتى إختفت على عهد تراجان (١١٧ - ١١٧ م) وحل محل هذه الشركات فى جباية المكوس أفراد أغنياء Conductores واستند ما بقى من ضرائب غير مباشرة الى موظفين حكوميين. وأصبحت كل الضرائب تجبيها الدولة إعتباراً من عصر ماركوس لوريليس ١٦١ - ١٨٠.

كانت الضرائب تفرض على الولايات بصورة غير عادلة فبينما ظلت إيطاليا معفاة من الضريبة المقارية حتى القرن الرابع الميلادى كانت مصر مثقلة بمختلف الأتاوات . ولم تكن هناك إية عدالة فى توزيع أعباء الضرائب على الشرائح الاجتماعية المختلفة فبينما كانت الشرائح السفلى من المجتمع تزدى الضرب فعلا كانت الأستقراطية فى الأقاليم تتهرب بمختلف الوسائل من أداء الضرائب خاصة بعد ضعف السلطة المركزية إبتداء من القرن الثالث م.

خلاصة القول أن الدولة الرومانية كانت تعتبر الولايات مصدرا رئيسيا من مصادر الدخل وكان أهالى الولايات يتعرضون لكل أنواع الأستغلال من الرومان ومن الأستقراطية المحلية(١).

-----  
M. Carry & H. H. Scullard, op. Cit 169 F. F. (١)

## ٢- للشرق في سياسة الامبراطورية الرومانية

### (١) الشرق في عصر أغسطس

كانت المشكلة الرئيسية في سياسة أغسطس الشرقية هي علاقته بملوك بارثيا وأرمينيا ففي أرمينيا استولى على العرش أرتاكسيس Artaxes وهو العرش الذي كان أنطونيوس قد أهدها لابن كليرياترة في عام ٢٢ ق.م. وقام بمذبحة لكل الرومان الموجودين في البلاد انتقاما لآبيه. وبعد معركة أكتيوم (١) والاستيلاء على مصر صار أغسطس مسئولاً عن الثأر للرومان من أرمينيا، وقرار الأحوال في بارثيا، خاصة وأغسطس يقود جيشاً قوياً مستعداً، بينما كان للملك البارثي فراتيس Phraates مشغولاً في ذلك الوقت بحرب ضد أحد منافسيه للمدمر تيزيداتس Tiridates . لم يستغل أغسطس الفرصة بتسيير الجيوش ورأى لن إستعادة الهيبة الرومانية في الشرق يمكن أن تتم باتباع الأساليب الدبلوماسية الهادئة بشرط أن تكون مضمونة النتائج. ولذلك لم يتخذ أي إجراء ضد أرتاكسيس وكذلك لم يقدم للثأر تيزيداتس أكثر من دعم معنوي. وبعد عشر سنوات

---

(١) أكتيوم راس في الشمال الغربي لبلاد الأفريق وقد انتصر اكتانوس ( أغسطس فيما بعد ) هناك على الأنطونيوس وكليرياترة عام ٢١ ق.م.

ظهرت فرصة جديدة أمام أغسطس للتدخل في شئون أرمينيا عندما  
 سمعت للمعارضة لاحتلال تجرانيس محل أخيه أرتاكسيس على العرش  
 الأرمني . وكان تجرانيس قد أبدى رغبته في روما في أن ملكا عميلا  
 للرومان . عندئذ أرسل الإمبراطور ابنه بالتبني تيبيريوس لكي يتوج  
 تجرانيس في العاصمة الأرمينية . وسجرد استعراض للقوة كان تيبيريوس  
 قادرا على حل كل المشاكل المعلقة مع البارثيين (٢٠٠ق م) . اغتيل  
 أرتاكسيس وتهديد بسيط بالغزو استطاع تيبيريوس أن يجعل الملك  
 البارثي يفرج عن كل الباقين من الأسرى الرومان لديه وكذلك كل الأعلام  
 التي استولى عليها من قبل . وقد استغل أغسطس هذه الانجازات غير  
 المكلفة لكي يعلن أنه قد هزم أرمينيا وأنه فرض على الملك البارثي أن يجثو  
 على ركبته . واستطاع بذلك أن يخرس الألسنة الداعية للانتقام من بارثيا .  
 بعد موت تجرانيس (١٩٣م تقريبا) وقعت أرمينيا من جديد تحت  
 السيطرة البارثية . عندئذ لم يتم الإمبراطور بلأى محاولة جادة لاستعادة  
 الأرض للفقودة إلى أن وصل حفيده جايوس قيصر إلى عمر مناسب  
 لتبولى قيادة الجيش . فأرسله إلى هناك في عام ١٩٣م . وقد كبر جايوس  
 قيصر ما سبق لتيبيريوس أن قام به فدعم أحد الأمراء المدعو  
 Ariobarzanes للوصول للعرش الأرميني . ولوقع الرعب في قلب الملك  
 البارثي الجديد فراتاكسيس Phraataces . حقيقة حارل المقارمة ضد

عامل آخر دفع إتجاه الغزو والتوسع وهو رغبة أصحاب روموس  
الأمراة الرومان فى تحقيق ثروات خرافية من خلال شراء ضرائب للولايات  
ومن ثم غزرا الصراع ودفعه بما يحقق مصالحهم..

ويكفى أن نعلم أن سقرط آسيا فى يدى مشيرداتيس السادس (١)  
تسبب فى وقف الضرائب التى كانت تحصل عليها روما. وفوائد الأمراة  
التي تذهب للمستثمرين الرومان، وقد كان هذا الوضع وراء التعميل  
بإرسال حملة سلا (٨٨ - ٨٤) التي إنتهت بمقد صلح مع مشيرداتيس  
إنسحب على اثرها إلى عاصمته.

وهكذا وجدت روما نفسها خلال قرن واحد صاحبة السيطرة  
والسلطة فى كل المناطق التي مثلت العالم الهلينستى. إحتلت هذه دن  
تخطيط أو خطة مسبقة. ومن تم لم يكن لدى الرومان طريقة جاهزة لإ  
أسلوب محدد لكي يفرضوه فى إدارتهم للولايات الشرقية.

دعم هذه الحقيقة إنشغال روما بسلسلة من الحروب المتواصلة طوال الفترة  
التي كونت فيها إمبراطوريتها. فضلا عن إقتران الصراع الخارجى

---

(١) مشيرداتيس السادس (١٢١-٦٢ ق م) يعرف بالأكبر كان ملكا على بونتوس.  
إشتبك مع الرومان فى ثلاثة حروب، إستولى فى الحرب الأولى على أغلب أراضى آسيا  
الصغرى وجزر بحر إيجه عدا رودس فضلا عن جزء كبير من بلاد الأفرىق، إستمرت  
الحرب ٨٨ إلى ٨٤ ق م وقد هزمه سلا وأرغمه على التخلي عن فتوحاته. وفى الحرب  
الثانية (٨٢-٨١ ق م) هزم الرومان. وفى الحرب الثالثة هزم لوكلوس ثم بومبى خلال الفترة  
من ٧٤-٦٢ ق م. وقد إنسحب إلى شبه جزيرة القرم حيث تعرض لتمرد إين فلرناكس،  
وقد قتل بأمر من إينه. كان لأخطر أعداء روما فى الشرق طوال فترة حكمه.

بضراع داخلى بين القادة الرومان. وقد أدى هذا لعدم وجود فرصة  
لبلورة نظام إدارة مخطط ومدروس يمارسونه فى المناطق التى خضعت  
لسيطرتهم.

يضاف الى هذا أن مناطق الشرق التى إحتلها الرومان كانت  
مواطن حضارات قديمة راقية بزت ما عند الرومان وكان لدى أغلب هذه  
المناطق أنظمة إدارية متكاملة من عصر سابق.

وهكذا وجد الرومان أنفسهم مدفوعين الى الأخذ بأساليب الإدارة  
فى تلك الولايات ولم يسعروا الى تغيير نظمها الادارية الا بالقدر الذى يوجه  
هذه الادارة لمصلحتهم (١).

إن العناصر التى حكمت سياسة روما فى الولايات تركزت على  
تحقيق هدفين ... الأول هو تحقيق لمن الامبراطورية والثانى تحقيق أكبر  
عائد من الولايات بما يعود على روما بالخير العميم وهكذا نجد حاكم  
الولاية لايزيد اختصاصه فرق الناحيتين المذكورتين عن الاشراف العام على  
المسائل المحلية. وعقد مجلس قضائى للفصل فى المسائل ذات الأهمية  
الخاصة. وماعدا ذلك من شئون الإدارة فقد تركه الرومان للوطنيين سواء  
فيا يخص عاداتهم أو معتقداتهم أو لغاتهم.

---

M. Carry & H. H. Scullard , A History of Rome , London , 1979, (١)

P.. 331 . FF .

وملاك الأراضى الكبار الممثلين فى السنهدرين يتعاونون مع الرومان. ولكن عامة اليهود الذين ايقظت ثورة المكابيين عصبيتهم ضد غير اليهود رأوا أن يوم الخلاص من الحكم الأجنبى صار قريبا. وساد الاعتقاد بأن المسيح المنتظر قادم ليحررهم ورأى البعض أن يهبطوا لقدمه. بعد ضم يهودية للرومان فى عام ٦ ميلادية بقليل قامت مقاومة مسلحة ضد المسرلين الرومان عن التعداد. وهاجمت عصابات السيكارى أو أصحاب السكاكين الذين كانوا قد هربوا الى الصحراء تحت ضغط القوات الرومانية هاجمت البلاد باستمرار. وفى عام ١٠م حدث تراجع رومانى مفاجئ عن سياسة التسامح الدينى الذى إتبعه أغسطس بأمر من كاليجولا الذى أمر اليهود أن يقيموا تمثالا له فى معبد اورشليم. وقد أدى هذا الى ثورة عامة فى فلسطين. تم تحذير الامبراطور من الثورة التى يمكن أن تحدث وكان أصحاب التحذير بترونيوس P.petronius حاكم سوريا وكذلك جوليوس أجريبا (هيروود أجريبا) حفيد هيروود الكبير والمقرب للبلاط الرومانى. فصرف كاليجولا النظر عن طلبه ولكنه فجأة عاد عن وعده وأمر بإقامة التمثال كما أمر باعدام بترونيوس. ولكن وفاة الامبراطور بعد ذلك بوقت قصير أنقذت بترونيس من الموت ومنعت اندلاع ثورة فى فلسطين. ولكن مجرد محاولة فرض عبادة الامبراطور هناك دعم موقف المتعصبين ضد الرومان. وإنتهت خطط كاليجولا لإقامة أجريبا على عرش جده، بالرت

ونظرا لتواضع القيمة العسكرية لليهودية فقد اسند أميرها الى بروكراتور Procurator، تحت الاشراف العام لقائد سوريا Magatus. لم يوفق الباطرة في اختيار البروكوراتوريس فان الاضطراب المالى الذى عانت منه المنطقة وعلى وجه الخصوص خلال فترة أنطونينوس فيلكس Antonius Felix أخى بالاس منترق كلوديوس (٥٢-٦٠) أعادت الى الأذهان الأيام السوداء "على عهد الجمهورية. ولكن الخطأ الأكبر للحكام الرومان كانت الضلوة التى يراجهون بها التمردات المتكررة. فمثلا Pontius Pilat (٢٦-٣٦) قام بسلسة من النارات ختمها بمذبحة لبعض السامريين بغير داع على جبل Gerizim : صحيح انه عزل وأعيد لروما بأمر من قائد سوريا Vitetius ولكن فى أحيان أخرى لم يكن مرتكب مثل هذه الأحداث يحاسبون. ومن ثم كان على الحكام أن يواجهوا تمردات سياسية واجتماعية ودينية على جبهة عريضة. وعلى كل فإن هذه المذابح التى قام بها الرومان أسهمت أكثر من أى شئ آخر فى إيصال البلاد للحرب. فى عام ١٦م حدثت مذبحة من الوثنيين ضد اليهود فى قيصرية، وكان ذلك بموافقة من البروكوراتور Gessius Florus. وقد أدت هذه المذبحة الى قيام ثورة فى اورشليم حيث أصبحت اليد العليا للمتعمسين Zealot. Florus بدى عاجزا، كما أن قائد سوريا Cestius Gallus حضر على

رأس جيش من ٢٠ ألف رجل وبدأ في محاصرة قلعة اورشليم. ولكنه في نوبة عصية مع إقتراب الشتاء أمر برفع الحصار ثم قام بتقهقر مآسرى من فلسطين. انتشرت الثورة في كل يهودية بعد هذه المهزلة وامتدت الى الجليل وأجزاء عبر الاردن، وأصبحت مدن فلسطينية عديدة ميادين قتال، وفيها قام اليهود والرثيين بذبح بعضهم البعض كلما كانت لأحدهم الغلبة في مكان. جمعت الثورة المعتدلين اليهود مع المتعصين ونظمت القراب الثائرة ودرت.

أسرع نيرون بإرسال جيش تحت إمرة فلافيوس فسبيان *Flavius Vaspasianus* وهذا لم يكن ضابطا محبوبا من البلاط ولكنه كان صاحب تاريخ عسكري جيد. كما أنه كان بسبب أصله الغامض يعتبر رجلا مطمئن الجانب لكي يترك على رأس جيش كبير.

استطاع فسبيان بقراته التي زادت عن ٥٠ ألف جندي أن يخضع الجليل في عام ٦٧ وأراض عبر الاردن في ٦٨. وبذلك حصر الثورة في أراضى يهودية الأصلية. عند ذلك الوقت أوقف فسبيان عملياته العسكرية بإدعاء أن نيرون، الذي أخذ منه أوامره، قد عزل ولكن اليهود لم يركزوا قادرين على الاستفادة من المهلة المتاحة. حيث لم يصمد الاتحاد بين اليهود طويلا و سرعان ما حدثت نزاعات بين المعتدلين و المتعصين في اورشليم ، فأصبحت مقاومة المعتدلين قاترة . إن وجهة نظر اليهود في هذه

الحرب وصلتنا من خلال كتابات يوسف اليهودى الذى كان ضابطا صغيرا لعب دورا فى المراحل الأولى للحرب ، ثم إستسلم لفلبسيان فى عام ٦٧ . وقد كوفئ بمنحه للجندية الرومانية . ومع نهاية حكم نيرون صار للمتعمسين اليد العليا فى اورشليم . ولكن فلسطين ككل كانت قد استلخها الرومان(١).

ان تعصب كل من اليهود والرثيين كان السبب الاصلى لاندلاع حرب اليهود وقد وقعت معاديات بين الطائفتين فى مختلف المدن فى الشرق فى مناسبات متعددة حيث كان المستوطنون اليهود يقعون فى تنافس مع السكان المتأخرين. وكانت هذه التناقضات تبدأ عادة بمحاربة المتأخرين إنكار الحقوق التى أقرها الملوك الهلينستيين لليهود واكدها قيصر ثم أغسطس. لقد كان مركز الصراع الاساسى فى الاسكندرية، حيث كان هناك وجود يهودى كثيف كونوا طائفة لها مجلس ورئيس. ومع ذلك كانوا يطالبون بحقوق المراتبة الاسكندرية على قدم المساواة مع الاخرين. والآخرين كانوا يحقدون على اليهود، نظرا لحرمانهم من وجود مجلس شرورى وهكذا نما شعور بين السكندريين مضاد للرومان قاده إيزودور ولامبرن. وكان عليهما أن يواجها الموت فى سبيل وطنهما وقد خلدت قصة هذه المواجهات فى أعمال أدبية شعبية ذاعت وانتشرت ويطلق عليها أعمال

Josephus, The Jewish War, Penguin BKS, England, 1978, 1, FF. (1)

الشهداء الوثنيين. في عام ٢٨م استغل الاغريق الفرصة وأعلنوا عدم ولاء اليهود في الاسكندرية عندما رفض هؤلاء لن يعبدوا كاليجولا كما أمر، وقام حاكم مصر أنيليرس فلاكوس *Avilius Flaccus* ، بتأييد هجمات قام بها الاغريق ضد السكان اليهود. بعد الأحداث استدمى فلاكوس وقتل بينما أرسل كل من اليهود والاغريق في الاسكندرية مندربين الى كاليجولا. ونظرا لأن اليهود كان يقردهم الفيلسوف فيلو. بينما كان يقرده الرفض السكندري إيزودور. صرف كاليجولا الرفض اليهودي بعد أن أوضح أن عليهم أن يقدموا تضحيات من أجله لا أن يضحوا له. وعند إمتلائه للعرش فإن كلوديوس أصدر منشورين، واحد يؤكد فيه الامتيازات التي أقرها لليهود الاسكندريين، وفي الآخر لليهود في أنحاء العالم. ومع ذلك فقد ثارت مشاكل في الاسكندرية في عام ٤١. وخطابه في الرد على الفريقتين يظهر منه أنه لم يتنمر لاحدهما تماما وحذرهما كلاهما بأن عليهم أن يحفظوا السلام في الاسكندرية. "والا فإننى ساكن مضطرا أن آيين له كيف يكرن الأمير الحليم عندما يغضب" لقد أمر الاغريق أن يكونوا رحما باليهود وأمر اليهود أن يتوقفوا "عن صنع الرءاء العام في العالم(١)".

وفي عام ٥٢ قدم وفد إغريقي من الاسكندرية تقريرا ضد أجريبا الثاني

(١) عبد اللطيف احمد على ، مصر والأمبراطورية الرومانية في ضوء الأثران البردية، القاهرة.

لما كلوديوس، ولكنهم فشلوا في الإيقاع به وأعدم إيزودور ولايرن بعد أن  
أعانا الامبراطور. وقد استغل يهود الاسكندرية في عام ٦٦م قيام الثورة في  
فلسطين لكن يقرمرا بعنف ضد الأغرقي ولكن حاكم مصر تيبيريوس  
الاسكندر ضرب المعتدين بقسوة. وبعيدا عن تلك المحارلة الفاشلة في  
الاسكندرية فإن ثورة اليهود لم تنتشر في أنحاء أخرى من العالم...

### لرمينيا وبارثيا :

قام الرومان في آسيا الصغرى بعدد من الحملات الشارية ضد  
القبائل للتمردة في جبال طوروس، ولكن حجم هذه الحملات تقلص حتى  
أصبحت في حجم الأعمال البرلسية. وتم ضم ساحل لوكيا وبامفيليا في  
ولاية واحدة في عام ٤٢ تسهلا للدفاع عن المرتفعات الجنوبية. ولكن العمل  
الأكثر أهمية كان إخضاع تيبيريوس لمملكة كبادوكيا في عام ١٧م ثم  
تحويلها الى ولاية رومانية وذلك لكن يقوى الحدود الرومانية على طول  
الفرات. لما الكوماجين في شمال سوريا فكانوا يعيشون فترة قلق ولذلك  
ببجرد موت ملكهم في عام ١٧م ضم تيبيريوس بلادهم. وفي عهد كاليجولا  
أعادها للملك أنطيوخس الرابع ثم بعد ذلك عزله، ولكن أنطيوخس عاد مرة  
أخرى الى عرشه على يد كلوديوس ٤١ وظل يحكم حتى عزله فسببان  
عام ٧٢م.

وبالنسبة للعلاقات مع لرمينيا وبارثيا فإن خلفاء أغسطس ماروا

على نهجه في فرض السيادة الرومانية بأقل قدر ممكن من الجهد  
 المكثف. ولكن تراخي الرومان وتضائل حذرهم ومع ذلك فقد ساعدتهم  
 التردد الذي ميز حركة الملوك البارثيين. ولذلك فما من مرة فقد فيها  
 الرومان نفوذهم على الفرات الا وكان ذلك ينتهي دائما باستعادتهم له.  
 وعند موت أغسطس كان الحاكم البارثي أرتابانوس Artabanus لم يكن  
 قد دعم مكاتة جيدا. أما أرمينيا فكانت في حالة من الفوضى. ومع ذلك  
 فإن تيبيريوس لم يتحرك حتى عام ١٨، عندما دعى نبلاء أرمينيا أميراً  
 من واحدة من الأسر المالكة الصغيرة في آسيا الصغرى لكي يصبح ملكاً  
 عليهم. عندئذ حين الإمبراطور ابن أخيه جرمانيكوس Germanicus،  
 الذي كان قد أرسل حديثاً في جولة تنفيذية في آلوديات الترفيه، تمكن  
 من التاج لمرشح الأرمنيين في أرتاكساتا Artaxata (١). وعمر احتفال  
 شارك تيبيريوس نفسه في مثل له قبل ذلك بأربعين سنة في ظروف  
 مشابهة تماماً. الملك الجديد أرتاكسيس Artaxes، حكم بدون إنتطاع  
 حتى عام ٢٥م. وعند موته فإن الملك البارثي أرتابانوس، الذي أذعن لتتويج  
 أرتاكسيس، أراد أن يسبق تيبيريوس فحرض أحد أبنائه للاستيلاء على  
 أرمينيا لنفسه. ولكن الداهية الروماني تخلص من هذا المأزق بذكاء. فقد  
 حرض مغامر إيبيري يدعى مشيريداتس فهزم القوات البارثية وطردها

(١) امامة لرميا

خارج أرمينيا ولبن العرش لنفسه. كما حرض مطالب بعرش بارثيا يدعى تيريداتس Tiridates إستطاع أن يطرد أرتابانوس مزقتا من كل أقاليم الغربية. حقيقة أن الأخير إستعاد الأقاليم المفتردة بدون منازعة من جانب الرومان، ولكنه لم يقم بأي محاولة لطرد مشريداتس من أرمينيا.

ضاعت ثمار سياسة تيبيريوس الحاذقة بسبب سوء تصرف الإمبراطورين التاليين. فكاليجولا قدم أرمينيا هدية لأرتابانوس. باتداهه على استدعاء مشريداتس إلى روما وحجبه هناك بدون سبب واضح ومن ثم إستولى أرتابانوس على البلاد دون مقاومة. أما كلوديوس فقد نجح في البداية في إعادة مشريداتس بمعونة قوة عسكرية رومانية صغيرة . تم ذلك عندما كان جوتارزيس Gotarzes خليفة أرتابانوس مشغولا بالصراعات الأسرية في وطنه . ولكن في عام ٥٢ قام ابن أخ مشريداتس للدمر رادامستوس Radamistus وهو مغامر أيبيري هاجم أرمينيا وقتل معه عددا، وقد ترك الرومان مشريداتس يقع في الكمين دون أي عون كما لم تمله أية معونة من الحكام الرومان الجاورين . ان تجاهل روما لما نال الملك العميل لها ساعد الملك البارثي الجديد فولترجيسس Vologeses في كسب الموقف لصالحه فساعد الأرمينيين في التخلص من الدخيل رادامستوس كما أرضاهم بأن جعل تيريداتس أخاه محله.

(٥٢-٥٤).

وعند إعتلاء نيرون للعرش فإن حاكم كبادوكيا الرومانى يوليوس بايليجريوس Iulius Paeligrius الذى كان مسئولاً بصورة رئيسية عن فقد أرمينيا تم استبداله فى عام ٥٥ بضابط يدعى Domitius Corbulo . وكان قد خدم بامتياز على جبهة الرين . كانت تعليمات الحاكم الجديد تقضى بإجراء مفاوضات مع فولرجيسس على أساس إعتراف الرومان بتيريداتس بشرط أن يتسلم تاجه من مثل نيرون . وحذره بأن رفض تيريداتس لهذه الاتفاقية سيزدى بكرورولو لغزو أرمينيا بجيش كبير . وبعد عام كامل من التدريبات القاسية للتخلص من حالة الاسترخاء التى كانت تسود القوات الرومانية على الجبهات الشرقية ، قام القائد الرومانى بعبور جريء لهضبة Erzerum فى وادى Araxas . ثم قام بحملتين سريعتين إحتل خلالها وحرق أرتاكساتا ثم أعاد مسيرة Lucullus عبر الأراضى الأرمينية العليا الى Tigranocerta (٥٨-٥٩) ومن هذه القاعدة أخضع بأسلوب منظم كل أرمينيا خلال الصيف التالى ، حتى أن تيريداتس -الذى كان فى نفس الوقت قد فقد دعم أخيه بسبب ثورة على الخنود الشرقية لبارثيا- أخلى ملكة كلية . وفى عام ٦٠ لجأ كوربولو لحل المسألة الأرمينية مرتقا بتتويج أمير يدعى تجرانيس من الأسرة المالكة السابقة فى كبادوكيا ملكا على أرمينيا .

فى العام التالى أثار الحاكم الجديد لأرمينيا أثار فولرجيسس

بقيامه بغارة على ميزوبوتاميا. عندئذ فإن الملك البارثي الذي كان قد انتهى من مشاكله أخذ بالثار من تجرانيس بأن حبه في Tigranocerta . وبالنسبة للمرقف الروماني ردكوروبلو الذي كان قد نقل الى ولاية سوريا الأكثر أهمية رد بعزله من عرش أرمينيا. ووافق على إعادة تيريداتس بشرط الاعتراف بالسيادة الرومانية. ورغم قبول تيريداتس لهذه الشروط إلا أنها رفضت من جانب نيرون نفسه، حدث صدام مباشر بين الرومان والبارثين. عند بداية الحرب بقي كوروبلو ساكنا في سوريا. بينما سعى حاكم كبادوكيا الجديد L, Caesennius Paetus, الى مناصرة غارات سلفه في أرمينيا. (٦٢) تقدم بايتوس بغير حذر في جنوب أرمينيا بقوة غير كافية ما جعله يفاجأ بفولرجيس عند Rhandeia فاضطر للتهتير وفي غياب المساعدة الفورية من سوريا إضطر للانسحاب. واضطر للتسليم واخلى الرومان أرمينيا. وكان ملكها في ذلك الوقت تيريداتس (٦٢-٦٣).

وجاء الوقت لحساب بايتوس في روما، بينما كوروبلو تلقى ترقية لا يستحقها بأن أصبح قائدا عاما على كل قوات جبهة الفرات. وبقوة جيش مدعم من لوريا وصل عدده الى ٥٠ ألف جندي أنهى غزوه لأرمينيا عام ٦٤م. إن التصميم الروماني أدى الى عرض بالسلام قدمه فولرجيس كما لن تيريداتس ووافق على أن يتقلد تاج أرمينيا من الامبراطور شخصيا. وفي عام ٦٥-٦٦ أبحر الملك الأرمني الى روما حيث استقبله نيرون وترجه

ملكا على أرمينيا. وقد ظلت الصداقة التي أقيمت في ذلك الوقت بين روما والملكتين الشرقيتين قائمة لمدة نصف قرن قادم رغم بعض الاضطرابات من آن لآخر.

وكان نيرون في عام ٦٤ قد سعى الى تأمين حدود أرمينيا بتحويل مملكة بونتس الى ولاية ضمن جلاتيا. وبهذه الحدود صارت الحكومة الرومانية صاحبة سيطرة على البحر الأسود وفي نهاية أيام نيرون كان يأمل في تحقيق حلم برمبي بالوصول بالحدود الرومانية الى بحر قزوين ولكن هذا للمشروع لم يتحقق أبدا في حياته ثم أهمل بعد وفاته. والملفت للنظر أنه بعد خمسين سنة من المواجهة العسكرية على الجبهة الأرمينية والبارثية بقيت الحدود كما هي تقريبا.

ولكن من عهد نيرون يلاحظ أن الحامية الرومانية على طول جبهة الفرات كان تزداد عدداً على حساب أقسام الرين والدانوب.. (١)

الإشراق في عصر الإمبراطرة الصالحين :

أرفيديا و بارثيا:

ضم تراجان العديد من المناطق التي تقع على الحدود الشرقية للإمبراطورية. وكانت إمارة عبر الأردن التي حكمها هيروود أجريبا الثاني

.....  
M . Cary & H . H . Scullard , OP . Cit P . 370. (١)

لمدة خمسين عاما تقريبا هي ولماة حمص Emesa قد ضحتا بانعمل الى سوريا على يد درمتيان لحوالي ١١٢. اما ترجان فقد قام بعمل اكثر اهمية في عام ١٠٥م عندما إستولى على مملكة العرب النبطيين الذين كان مرقمهم حاكما على طرق تجارة القوافل القادمة من الصحراء العربية الى البحر الاحمر والساحل الفلسطيني. وكان هذا الموقع قد جعل للمملكة اهمية تجارية كبيرة. تحولت للملكة النبطية الى ولاية باسم "الولاية العربية" ضمت الولاية الجديدة منطقة النقب وربما سيناء ولكن أقليم دمشق في نهاية حدودها الشمالية ألحق بولاية سوريا. من هذه المدينة أنشئ طريق عليه تحصينات يمر عبر بصرى Bostra ( التي كانت قد صارت مقر قيادة فرقة عسكرية رومانية) ثم البتراء الى ايله على الخليج العقبة.

وقرب نهاية حكم تراجان إجتاز هذا الامبراطور الحدود الرومانية على نهر الفرات وهي الحدود التي أتمامها أغسطس ورفض فيرون تجارزها. وكان هذا تغيرا جذريا في السياسة الرومانية في الشرق حدث بسبب استفزاز الملك البارثي خسرو Chosroes للامبراطور. فخلال حكم باكرورس Pacorus الاخ الاكبر لخسرو قبل تراجان إلباس التاج الالمني الى الابن الثاني لباركورس اللدعو اكسيدارس Axidares. بإعتبار أن الابن الاكبر بارثاماسيرس Parthamasiris سوف يخلف أباه باكورس على عرش بارثيا. ولكن بعد وفاة الملك تخطى النبلاء البارثيين بارثاماسيرس واختاروا

عنه خسرو ليعتلى عرش بارثيا (١١٢) وحتى يامن جانب ابن اخيه قام  
خسرو الحاكم البارثى الجديد بتحريض بارثاماسيرس للإستيلاء على  
أرمينيا لنفسه (١١٢). ولكن رغم إستيلاء بارثاماسيرس على أرمينيا الا أنه  
فشل فى طرد اكسیدارس من المناطق النائية من المملكة. وفى نفس الوقت  
تعرض خسرو لهجوم مطالب بالعرش فى الأقاليم الشرقية من بارثيا. قبل  
تراجان التحدى وحرك كل قواته الموجودة فى الشرق عندئذ قدم  
بارثاماسيرس عرضا بأن يتولى حكم أرمينيا بنفس الشروط التى إعتلى  
تيريداتس على أساسها العرش أيام نيرون. لم يعط الامبراطور الرومانى ردا  
فوريا، ولكنه دعى للملك الأرمينى للقاءه بالقرب من Erzerum. ورغم  
تاكيدات الملك بولان للامبراطورية الرومانية. إلا أن تراجان أعلن عزل  
بارثاماسيرس كما أعلن تحويل أرمينيا الى ولاية رومانية (١١٤).

كان ضم أرمينيا فيما يبدو الهدف الأصلى لتراجان. وكان دانه  
تأمين الحدود الشرقية ضد القبائل القرقازية، بما فيها Alans، الذين  
كانوا يتحركون جنوبا، ولكن ضمهم لأرمينيا فرض عليه ضم ميزوبوتاميا  
أيضا تأمينا لخط الحدود الجديد للامبراطورية فى الشرق وحماية لخطوط  
التجارة الرومانية عبر هذه المنطقة.

فأستأنف تراجان فى عام ١١٥م توغله داخل الاراضى البارثية.  
واستولى على Nisibis, Singara، واستولى على شمالى ميزوبوتاميا،

وكن خسرو قد ترك حكام هذه المناطق بغير مساعدة، فاستسلموا فوراً أو بعد مقاومة ضعيفة وهكذا. صارت ميزوبوتاميا ولاية رومانية. قضى تراجان شتاء عام ١١٥-١١٦م في اعداد أسطول لعبور الفرات الأوسط ثم تحركت القوات الرومانية في ميديا التي أصبحت ولاية آشور الرومانية، عندئذ قسم جيشه الى قسمين سارا بهذا، النهرين ولكنها اتحدت من جديد للقيام بهجوم على العاصمة الشترية لخسرو كتسيفون Ctesiphon على نهر دجلة في مقابل سليوكيا. وعند اقتراب الرومان هرب الملك البارثي. وصار في حكم الواقع أن بارثيا صارت إتليا رومانيا. بعد ذلك أخضع الامبراطور كل الأرض على النهرين، وأتم تقدمه بالابحار جنوباً في دجلة الى الخليج. ولكن قبل أن تصبح مكاسب مضمونة. قامت الثورات ضده هنا وهناك فثارت سليوكيا ومدن أخرى. كما قامت ثورة خطيرة في يهودية وبيدو من المؤكد أنها ثورة أعد لها من قبل بالتعاون مع الملك البارثي، شكلت بغير شك عيباً إخواني على مزخرفة القوات الرومانية. وكان ذلك في عام ١١٧م. وفي محاولة لمواجهة الخطر أرسل تراجان قواده ضد الثائرين. وفي هذه الظروف تم تتويج پارثاماسباس Parthaspates، ابن خسرو ملكاً على بارثيا، إنكاراً للدعاءات الرومانية بسقوط بارثيا. وبمجرد انسحاب الرومان طرد خسرو ابنه واستعاد العرش. وبعد محاولة يائسة لاختضاع هاترا بالحمار استعاد تراجان الفرات. ويذكر النضال للثاندي الموريتاني لوسيرس كويتوس

**Lusius Quietus**، الذى تولى أمر الانسحاب من ميزوبوتاميا قاد تراجان قواته الى انطيوخ (١١٧)، ولكن المرض والموت لحقاه.

إن ما ضمه تراجان على الأقل إنهى المسألة الأرمينية التى شغلت روما منذ زمن لوكرلس وبومبي كما أنه حرم الملك البارثى من بلدين متطرين ومن ثم حرره من دخلهما. ولكن الثمن الذى دفعه الإمبراطور مقابل ولاياته الجديدة كان باهظا. فمن أجل تكتيل القوات ضد أرمينيا وبارثيا اضطر الإمبراطور الى إضعاف الجبهات الأخرى الى حد أدنى من حد الأمان. بالإضافة الى ذلك فإن الحدود الجديدة فى الشرق لم تتبع أى حد طبيعى يصلح للدفاع عنه وتطلب وجود حامية دائمة أكبر عددا للدفاع عن أكثر من وادى الفرات.

لقد كان العمل الأول لهادريان هو الانسحاب من كل إبتصارات سلفه، حتى أنه سمح لخسرر بأن يستولى على أقاليمه المفقودة وتقل **Parthamaspates** الى **Osrhoene**. وفى عام ١٢٩ أعاد هادريان الى خسرو إبتته، التى كان تراجان قد أسرها ولكنه لم يرد العرش الأرمينى. إن إبتاتيه التى أتبعته نفس خطوط معاهدة نيرون مع فولوجيسس كان لها نفس الاستمرار. صحيح أنها تعرضت لبعض التجاوزات مثلما حدث فى ١٤٢ ومرة أخرى فى ١٥٥. عندما غزا ملك بارثى جديد يدعى فولوجيسس الثالث **Vologeses** غزا أرمينيا لكى يقبض على أحد أقاتره،

ولكنه انسحب بقواته بعد تلقيه لخطاب تهديد. وفي ١٦١م عاد نرلرجيسس الى الليدان ونصب أميراً يدعى باكورس ملكاً على أرمينيا بعد أن حقق انتصارات على حاكمي كبادوكيا وسوريا، اللذين إندفعا لملاقاته بدون قوات كافية. وإذا كان الملك البارثي قد رغب عند هذه المرحلة إتمام السلام مع ماركوس أوريليوس على أسس اتفاقية نيرون فربما إستطاع أن يفرض باكورس ملكاً على أرمينيا. فقد كان الامبراطور الروماني غير راغب في رفع السلاح في وجهه، ولكنه رفض التسوية. ولذلك أرسل الامبراطور في عام ١٦٤-١٦٢ جيشاً رومانياً كبيراً تحت القيادة الشخصية لشريك الامبراطور فيروس Verus. ولكنه في الحقيقة كان بقيادة أنيديوس كاسيوس و Staius Priscus. إجتاحا أرمينيا وميزوبوتاميا بنفس طريقة تراجان. في عام ١٦٢ أستولى برمكوس على Artaxata عاصمة أرمينيا وأحرقها وأتبعه كاسيوس بمعركة ناجحة عند دورا يوربروس على الفرات (ربما ١٦٥) ثم إنضم الجيشان وتقدما في إتجاه دجلة. وبالقوات المتحدة أستولى كاسيوس على كل من المدينتين التوام مليركيا وكتسيفرن، ودمرها (١٦٥-١٦٦). واكمل حملته بغارة على ميديا وكانت تمثل الشرق الأبعد بالنسبة للرومان (١٦٦) وتم إبرام السلام. وافق بقتضاه نرلرجيسس على ترك أرمينيا في أيدي أمير آخر يدعى سوهايوس Sohaemus، الذي كان يسكن في روما ووصل الى مرتبة السناترور. وفي نفس الرقت تخلى

عن الملكة الاطاعية في Osrhoene في غرب ميزوبوتاميا التي أصبحت تحت الحماية الرومانية ويدافع عنها الجنود المسرحين من Carthae. وبهذا الاتناق فإن ماركوس أوريليرس كان يتتبع عموماً خط الفرات وعدل حدوده بتقطع الثنية في الوسط. وبعد ذلك، ولكن يحيى السلام عين أفيديرس كاسيروس قائداً أعلى على كل الشرق، بما فيها مصر. إن حروب القرن الثاني أثبتت أن البارثيين كان يمكن أن يحققوا بعض انتصارات مبهرة على الرومان، ولكنهم لم يكونوا أنداداً لهم في الصراع الطويل. إن الانتصارات التي حققتها الرومان ضد البارثيين كانت باهظة التكاليف ذلك لأن الجنود عادوا حاملين ميكروب أخطر الأوبئة في التاريخ الروماني. تم ضم إمارة عبر الأردن على يد تراجان وحافظ عليها خلفاؤه. وأيام هاديان وأنطونيوس ثم إنشاء طريق محصن جديد يتخطى حدود الليميس الخاصة بتراجان. وهناك على الحدود الشمالية لولاية كبادوكيا الذي تم ترسيخ مساحتها فان قبائل Alans تلقت خدمات عبر مرات الترقاز بدون صعوبة كبيرة على أيدي الرولة الرومان.

### يهودية :

إن قرار هادريان بالانسحاب من أرمينيا وميزوبوتاميا تأثر بنير شك بالشررات التي انفجرت في مزخرة جيش تراجان عام 115. هذه الشررات كانت نتيجة الخطة المدبرة التي عاون فيها يهود الشتات يهود

فلسطين. ومن الواضح أن هذه الثورة فاجتت تراجان ولذلك لميسر من الممكن تحديد مدى الحزن الذي سببه اليهود لإمبراطورهم. وبالنسبة ليهود الاسكندرية فإن الامبراطور كان ميالا لتحريض الاغريق الرثيين ضدهم. ومن الممكن أن ضم مملكة البنط كان له تأثير سلبي في تحريك جزء من التجارة العربية من فلسطين الى غزة أو دمشق، ولكن السبب الرئيسي للثورة مرتبط بغير شك بالامال المسيحية التي بنيت حبة في المدارس Rabbinical schools بعد حرب اليهود الأولى. كان الانسحاب الجزئي للحاميات الرومانية من فلسطين من أجل الحرب ضد البارثيين هو الفرصة المواتية للثورة ولايستبعد أن خسرو الذي من المزمك أنه استخدم للمواطنين اليهود في بابل كملاء للتحريض على الثورة في ارض الرافدين، يمكن أن يكون قد وظفهم لكي يربطوا بينه والثورة العامة لليهود في خلف تراجان. تم إختيار توقيت جيد للثورة لدرجة أن الثوار أصبح لهم اليد العليا في قبرص وقرنية كما شغلت باقى القرات الرومانية في فلسطين ومصر، وأيضا تحققت للثوار الاغلبية فإنهم قاموا بمذابح ضد الوثنيين. ولكن نهاية الحرب البارثية في عام ١١٦ جعلت تراجان حرا لكي يواجه الثوار اليهود. وبينما كان Lusius Quietus قد إستعاد ميزوبوتاميا وهذا فلسطين فإن ماركوس تربو Q.Marcus Turbo طارد الثورة في مصر وقرنية وحرص السكان الاغريق على القيام بمذابح ضدهم. ان كل اعمال

التسرد خارج فلسطين قد اخذت حتى ان اليهود في الشتات ترتقوا عن  
إحداث شغب ذات تأثير بالنسبة للحكومة الرومانية من ذلك الوقت.  
أما عن الحرب في فلسطين نفسها فإننا لانعرف شيئا عن الفترة  
الآخيرة من عصر تراجان ولكن أعدادا من اليهود استمروا يحاولون المقاومة  
أيام هادريان، وكان ذلك نتيجة استفزاز مباشر من جانب الرومان. ففي  
الفترة المبكرة من حكمه كان هذا الإمبراطور يدعم بقرة حرق اليهود في  
الإسكندرية، ولكن خلال جولته الثانية في الولايات الشرقية اعتقد بمصلحة  
العنف لحل المشكلة اليهودية وهي سياسة جريها الملك السليوقي أنطيوخس  
الرابع قبل ثلاثة قرون وكانت لها نتائج وخيمة. أصدر هادريان في عام ١٣١  
قرارا بتحريم الختان. كما أنشأ مستعمرة رومانية Aelia Capitolina في  
أورشليم، وهو عمل شمل إقامة معبد لجوبيتر الكابيتوليني على موقع  
الهيكل. ثار اليهود في فلسطين للتمرد على الهيكل وقاموا تحت قيادته  
Cochbar Bar Cosibar، بأعمال انتحارية يهدف إغناء الرومان من خلال  
حرب العصابات (١٣١-١٣٤). ولكن القوات الرومانية المدعمة بفصائل من  
المناطق الأخرى، استعادت فلسطين بنفس الطريقة التي اتبعها فسبيان.  
فقد قام القائد الروماني يوليوس سيفروس C. Iulius Severus الذي  
استدعى من بريطانيا لتولي القيادة، بعزل جيوب المقاومة ومحاصرتها حتى  
تنتهي مقاومتها. هدى كل الأقليم في العام التالي. والحقيقة ان الحرب

اليهودية الثانية كانت في واقعتها صيد للرجال اتنى فيها الرومان عددا كبيرا من سكان فلسطين. وإن كان التقرير الذى يذكر بأنهم دمروا ٥٠ قلعة و١٨٥ قرية. و٥٨٠ ألف رجلا لبالاضافة لمن ماتوا بالمجاعة أو بالوباء) يعتبر مبالغته من صاحبه (١). إن إعادة تعمير فلسطين بالسكان التى خططها هادريان بدأت بمستعمرة أيلة كابتريلىنا واستمرت بتوطين سكان رثيين من البلاد أو الاراضى المجاورة. وقد منع اليهود الباقين من زيارة اورشليم إلا مرة واحدة فى السنة حتى اسم يهودية غير الى سروريا الفلسطينية وعكرت فيها فرقتان رومانيتان. ولكن على عهد أنطونينوس بيوس بدأت موجة الاضطهاد تخف وتم الاعتراف بالقانون اليهودى والذين ولدوا يهودا كان لايضيقون فى ممارسة ديانتهم، وسمح للهياكل والمدارس بأن تحتفظ بتقاليدها الوطنية حية. وأخيرا صار هناك احترام متبادل *Madus Vivendi* يحفظ لكل فريق حق الموافقة والاختلاف فى أفكارهم. على الرغم من بقاء اليهود بدون دولة أو وطن (٢).

(١) لرجو ملاحظة أن عدد سكان مصر كلها كان سبعة ملايين نسمة تقريبا ومن ثم لايمكن تصور أن فئة واحدة ( اليهود ) من سكان فلسطين يمكن أن يبلغ ضحاياها فى حرب واحدة كل الرقم المذكور

(٢) M . Cory & H . H . Scullard . op . cit . Basin .

## ٢- الحياة الإجتماعية والاقتصادية فى الشرق خلال عصر الامبراطورية الرومانية

عندما سقطت الدول الهلينستية فى ايدى الرومان لم يتحدث  
الرومان نظما خاصة لحكمها بقيت الولايات ينظر اليها كضياع للشعب  
الرومانى. وكان من المير على مواطنى هذه الولايات أن يحصلوا على  
الحقوق الرومانية. وإذا كانت مدن هذه الولايات قد نالت عناية من جانب  
الرومان فقد كان هذا من منطلق السعى الى ترقيتها الى مستوى اعلى  
ما كانت فيه لا منحها حقوق المدينة الرومانية.

ونظرة الى الأساليب التى إتبعها أغسطس فى حكم الشرق توضح  
الحقائق السابقة فنظم الإدارة بقيت على ماهى عليه مع إدخال بعض  
التعديلات. والولايات بقيت تحت حكم رجال السناتور باشراف من الامبراطور  
أوبتكليف من والجديد هنا أن الولايات لم تعد تحت حكم طبقة السناتور  
وانما رجال السناتور كفراد. وكان هذا رأس تعديلات حققت عدالة اكثر  
فإنتهى عصر المرابين الرومان واستقر نظام الضرائب المباشرة تدريجيا.  
وكان إستقرار هذا النظام بداية لانتهيار جمعيات جباة الضرائب من الرومان  
الذين إستفلاوا الولايات استغلا بشما على العهد الجمهورى.

لم تخفض الضرائب بل زيد بعضها ولكن تحسن أسلوب جبايتها

دئ الى تضازل القلائل فى الولاياء. وكان رررد المبالس الملاء يعطى السكان أملا فى رفع شكاياءهم فى الولاياء الى مابع الامبراطور فى روما . باسثناء المذن المصرىة.

### مذن الشرق المائلرقة:

اممء المذن فى الولاياء الشرقىة برىة تسىر شئونها الملىة ورما وصلت هذه الرىة الى دررر أعلى ما كانء طىه فى العصر الهلىنسى. ولقد راعى أغسطس الظروف الأجماعىة فى تلك الولاياء فأبقى على أوضاعها دون تغيير. وقد تركء روما مائلب الحكم فى المذن لمواطنها الأغنىاء ىتخبىرن سنويا كموظفىن سامىن بالاضافة الى وجرر مجلس لولى) وقد سعءء هذه المذن بهذا الملى من الرىة الذى أءاءه السلطاء الرومانىة لها. وبالنسبة لروما فإن كل ما كان ىبها هر أن ىسوء الهءرء والنظام هذه المذن.

إن الاضافة الرىقىة بالنسبة لسىاسة أغسطس آراء ولاياء الشرق كانت آشعىه لآحضىر المناطق الرىفىة والربرىة. فنشأء ءوزلاء ومذن رءىءة على انقاض قرى ومناطق آاضة للعباء؛ وصارء السمة المىزة لولاياء الشرق فى العصر الرومانى هى سىاءة نظام المذن المئمءة بالكرم الءائى فى إطار إشراف حكام الولاياء؛ هذا بالطبع باسثناء مصر الئى

خصتها روما بسياسة استعمارية طاملة تقرم على الحكم المركزي المباشر والسعي الى نهجها نهجا منظما. ترتب على إنتهاج سياسة تشجيع إنشاء المدن والدريالات تغيير فى شكل الولايات بعامة بما فيها الولايات الشرقية فى آسيا الصغرى وسوريا- اذ أن هذا الاتجاه فى المنطقتين كان قد بدأ قبل عصر الرومان بفترة طويلة.

وقد حدثت الامبراطورية الرومانية من تدخلها فى الشؤون الاقتصادية للولايات حيث إكتفت بجباية الضرائب أو الحصول على رسوم من أجل القيام بالأنشطة المختلفة عوضا عن نظام الاحتكار الذى مارسه عدد من ملوك العصر الهلينستى فى ممالكهم وفى مقدمتهم البطالمة فى مصر. كانت أهم الأنشطة الاقتصادية فى المدن الشرقية هى التجارة وأمية تجارة الولايات الشرقية تعود أصلا إلى أن هذه الولايات كانت تمثل نهاية خطوط التجارة المعروفة برىا وبحريا مع الشرق البعيد. وكانت موانئ مصر وسوريا وآسيا الصغرى تسيطر على نهايات خطوط هذه التجارة التى كانت فى الغالب تجارة ترف. تحمل العطور والتوابل والأحجار الكريمة والحريير وغيرها. وكانت الولايات تقوم على حماية هذه التجارة أثناء مرورها فى أراضيها من موانئ الامبراطورية الرومانية على البحر المتوسط وبحر إيجة الى موانئ الخليج الفارسى. وقد برز فى مهمة نقل وحراسة بضائع التجارة عرب تدمر وعرب النبط وقد أدى قيامهم بهذه المهمة الى ثرائهم ثراء هائلا. بل لعل هذا الثراء كان سببا فى تزايد أطماع الامبراطورية الرومانية فى دخولهم

وعجل بنقلهم من مرحلة الدولة العميلة لروما الى مرحلة الضم المباشر. كما اتسعت التجارة البحرية بين مصر والهند بمد نجاح الرومان في الاستفادة من الرياح الموسمية. وقد نمت هذه التجارة نموا مطردا حتى غدت تبادلا منظما لهم سلعة القطن والحريير وكانت السلعتان تصنعان في الاسكندرية ويصدر في مقابلهما الزجاج والأدوات المعدنية وربما التيل.

وتعمد أهمية التجارة أيضا الى دور الولايات الشرقية في التجارة الداخلية بين أجزاء الامبراطورية الرومانية؛ فالولايات الشرقية كانت ولايات متحضرة صاحبة صناعات متقدمة وزراعات متميزة ومن ثم مثلت منتجاتها جانبا هاما من حجم التجارة بين أجزاء الامبراطورية الرومانية المختلفة. ويكفي أن نذكر كميات القمح التي كانت تصدر من مصر الى روما والكروم والزيتون والأخشاب والمعادن من آسيا الصغرى وسوريا. وكان حجم التجارة الداخلية كبيرا حيث أنه تركز على بضائع الاستخدام اليومي. وقد أدى هذا الى ازدهار أو استمرار ازدهار مراكز الصناعة في الولايات الرومانية في الشرق. فالاسكندرية التي كانت مركزا رائدا للصناعة منذ العصر الهلينستي استمرت في اسهامها وأنتجت كثيرا من السلع والبضائع للشرق المصرية وللتصدير. لقد كانت الاسكندرية تنتج للعالم كله الورق من البردي وبعض أصناف الكتان والمطور فضلا عن بعض السلع الزجاجية، خاصة الخرز ومنتجات اللعاج وأنواعا من الحلوى والجواهر ولوانى فضية.

كما قدمت سوريا الزجاج للنفخ وتقدمت بها صناعة الحلوى

والكتان حتى صارت تنافس الاسكندرية فيهما. ولزدهرت صناعات الصرف مرة أخرى في آسيا الصغرى وتمدى تصدير الجاد والأبطه الى تصدير أنواع من المنسوجات المصبوغة ولم يكن ينافسها في هذا سوى سوريا.

وقد ساعد على الاستمرار والتوسع أن ولايات الشرق لمصر وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وسوريا) عرفت نظاما متكاملًا من الطرق البرية والنهرية. فاستمر تبادل السلع والبضائع على مدى الأجيال داخل نطاق هذه البلاد بعد أن أصبحت ولايات رومانية.

أدت هذه السياسة الاقتصادية التي إنتعاش ملحوظ في الشرق . نرى آثار ذلك فيما خلفت هذه المدن الشرقية من آثار وتقوى في آسيا الصغرى وسوريا فضلا عما حملته أوراق البردى في مصر من معلومات. تؤكد بوضوح التقدم الاقتصادي الذي حققه الشرق.

ضمت الامبراطورية في القرن الثاني عدداً هائلا من المدن المستقلة لكل منها حكومة وحياء خاصة وتواجه ظروفها الاقتصادية والاجتماعية. وتخضع هذه المدن كلها لحكومة مركزية تدير الأعمال السيادية من علاقات خارجية وشئون حربية ومالية ويرأس هذه الحكومة المركزية الامبراطور الذي يتيب عنه مندوبين في الولايات ويقوم الى جانب الامبراطور مجلس السناتر الذي كان قد تقلص دوره حتى صار هامشيا. والسلطة المركزية كانت تحرم على عدم التدخل الى حد كبير في ممارسة المدن لشئونها

المحلية. وأتتصر دورها هناك على جباية الضرائب وإدارة أملاك الامبراطور والدولة ونوع من القضاء.

إننا نعرف الكثير عن أحوال هذه المدن في الولايات الشرقية من خلال ما تركته من أطلال في آسيا الصغرى وسوريا ومصر. نعرف الكثير عن نشاطها الاقتصادي وموارد ثروتها وعقائدها الدينية وملاعبها ونشاطها الفكرى. وتجدر الإشارة الى أن الولايات الشرقية ضمت مدنا ناهت روما في ثرائها كالألكندرية في مصر وأنطاكية في سوريا وإنسوس في آسيا الصغرى. وهناك مئات من المدن الكبيرة الجميلة أقل منها حجما وثراء كانت تملأ الولايات الشرقية. وتأتى في مقدمة هذه المدن بلدان التجارة والصناعة وأغلبها كانت مراكز لتجارة واسعة مثل بالميرا والبتراء وبصرى وهى مرافئ التجارة عبر الصحراء وكانت أجمل مدن الامبراطورية وأغناها. وبلى هذه المدن مراكز أقاليم زراعية وكانت مدنا كبيرة ذات مباني حسنة وأغلبها شيد على أنهار وكانت ملتقى طرقا تجارية.

ورغم الاختلاف فى المساحة وعدد السكان والثروة والأهمية فإن مدن الامبراطورية اشتركت فى حرصها على توفير أكبر قدر ممكن من الحياة الرفيدة لسكانها. كما أن أغلب مدن الشرق الهلينستى كانت تتمتع بنظم للتخلص من مياه المجارى وتصل المياه الى منازلها حتى الطبقات العليا كما تخترقها طرق مرصوفة وبها ميادين عامة وجوانب شارعها مسقوفة لتحى السيارة من الشمس والمطر. وبها أسواق جيدة وحمامات عامة فضلا

عن للبناني العامة مثل الجنازيا وبالايترا لعلبات المصارعة). فضلا عن  
البناني العامة مثل مبنى Curia ودواوين الموظفين وأبناء الاجتماعات  
الحكومية والمحاكم وسجون وغير ذلك. بالإضافة الى مباني أقيمت من أجل  
التربية والرياضة والتعليم والمسارح والملاهي ولللاب والمدرجات ودور الكتب  
والأديين. وكانت المنازل في الاغلب الأعم نسيحة الأرجاء رحبة ومجهزة  
برسائل الترفية ومزودة بالحمامات الخاصة والسلام الحجرية. وقد قام ببناء  
الأغلب الأعم من هذه المنشآت أفراد الطبقات العليا من السكان. أما نفقات  
اللدينة فكانت تتم من حميلة الضرائب للترعة التي يخضع لها السكان.  
ورغم أن بعض المدن كان دخلها عظيمًا فإن نفقاتها كانت كبيرة جدا.  
ورغم أن هذه المدن امتدت في وطانها الكبرى المدنية والدينية على مبدأ  
التطوع لو التكليف الإلزامي. إلا أنها كانت تدفع مرتبات منتظمة لمغار  
العاملين، فضلا عن عبي صيانة المباني العامة.

وكان ضمان التأكد من توفير اللواد التمرينية باستمرار وذلك  
بتأمين احتياجات المدينة من اللواد الغذائية بند يكلف ميرانية المدينة  
الكثير حتى أن أخصب الولايات كانت تصادف من وقت لآخر نقص في  
الأنتاج وكان عدم الاسراع بتوفير اللواد النادرة يعرض أمن المدينة للخطر.  
كانت العناية بالتعليم الأفریقی والتدريب الرياضي إحدى اللهام التي  
حرصت عليها مدن الشرق النهيئة. ونحن نعلم أن للمتسيين الى معاهد  
الجنازيا كانوا طبقة خاصة من اللجمع وكان إلتسابهم إليها ينحهم بعض

الامتيازات : من ثم كان الرفاء بمتطلبات هذا التعليم باباً من أبواب الانفاق في المدن في الشرق تحت حكم الرومان.

وهناك المعابد وما يرصد لصياتها من أموال فضلا عن تكاليف تقديم الاضحيات للآلهة والأبطال والقيام بالولائم والاحتفالات على شرف مختلف الآلهة. ولذلك كان لبعض المدن ادارة مالية خاصة لشئون العبادة. وقد تكلف المسئولون عن التبرين أو التعليم أو المعابد الكثير من نفقات ووظائفهم وهذا لم يمف المدينة في أحوال كثيرة من تحلل نفقات بعض المناسبات.

وكان ثروة المدن يتنافسون على شغل هذه المناصب خلال القرن الأول الميلادي بل كانوا يدفعون مبالغ من المال نظير تكليفهم بهذا الشرف وقد استمر الحال هكذا خلال النصف الأول من القرن الثاني. وكان للمواطنين لا يكتفون بمساهماتهم في الوظائف الطوعية. وإنما كانوا يقدمون بسخاء يد العون لتنفيذ كل ماتطلبه مدنتهم. وينسب الي هؤلاء المواطنين إقامة أغلب المباني العامة في مدن الشرق.

ولدينا أسماء المناء من اهالي بلاد اليونان وأسيا الصغرى قدموا مثل هذه المساهمات. وقد حفظت لنا الآثار اسم احد مواطني لوكيا في آسيا الصغرى ويدعى أورامراس Opramoas انفق الملايين لسد إحتياجات مدينة راديابولس Rhadiapolis بل واحتياجات مدن لوكية

أخرى. وقد ظهر على شاكلته كثيرون في جميع مدن الشرق.  
وهكذا نجد أن التجارة في الامبراطورية الرومانية خلال القرنين  
الأول والثاني كانت المصدر الأساسي للشراء. وقد إتجه التجار الى إستثمار  
الفائض من أموالهم في الصناعة والأراضى وإقراض المال. ومن ثم فليس  
غريبا أن نجد أغنى مدن الامبراطورية هي المدن التجارية سواء وقعت على  
البحر أو على الطرق البرية التجارية. وكانت الصناعة من الموارد الأخرى  
للثروة. وقد إحتفظ الشرق بتقدمه الصناعى بالنسبة لباقي الامبراطورية  
وكانت آسيا الصغرى وفينيقيا تميزان بإنتاج الملابس الملونة الراتية والبسط  
وكانت آسيا الصغرى المركز الرئيسى لصنع الملابس الصوفية، كما كانت  
سوريا ومصر مركزين لصناعة الملابس الثيئية، وكان أفضل أنواع البضائع  
الجلدية من إنتاج الشرق الأدنى.

فإشتهرت سوريا وبابل وآسيا الصغرى ومصر بتلك المنتجات وكانت  
مصر تحتكر صناعة الرق من البردى كما عرف الرق الذى إشتهرت به  
آسيا الصغرى وسوريا.

وكان لايزال للزجاج السورى والمصرى قيمة عالية فى جميع أنحاء  
العالم الرومانى وكانت الجواهر البديعة ذات أصل شرقى.

اعتمدت كل المصانع الكبيرة على عمالة من العبيد وإن لم تكن  
مقتصرة عليهم وحدهم. وفى مصر كان العمال من الأحرار الوطنيين وقلما  
قابلنا عمالا من العبيد فى مصر. كان العمال فى كل ولايات الشرق خلال

الامبراطورية يراجهن ظروفًا صعبة. فكانوا في مصر يهربون الى لمابد التي كان لها حق حماية اللاجئين اليها. أما في آسيا الصغرى فنصادف ظاهرة فريدة وهي قيام العمال باضراب عن العمل رغبة من تحسين ظروفه لو اعتراضا على واقع يرفضونه. ومن أمثلة هذه الاضرابات ما حدث في ييشنيا وذكره دير. وماذكره نفس المؤلف عن مشاكل قام بها عمال مصانع الكتان في طروس.

لقد كانت مظاهر الرخاء في المدن في الشرق خلال عصر الامبراطورية يعطى احياء بلثراء الشديد. ولكن يجب أن نعلم أن هذا الثراء كان مقصورا على شريحة رقيقة من السكان خرجت من بين طبقة خلفاء المتأخرين الذين كانوا يثلون عصب هذه المدن ويملكون الأعمال الوسطى من تجارة وإدارة. وكان العلم والثقافة قصرا على تسمى هذه الطبقة. أما ماعدا ذلك من سكان فكانوا يعيشون في ققر شديد مساعد عليه الاعتماد على العبيد في الصناعة فأدى هذا الى إنخفاض أجر الأحرار من الفقراء الى حد الكفاف. والطبقة العليا من سكان المدن في الشرق إستمرت تتحدث الإغريقية وتعلم بها وتستخدمها في تعاملاتها.

### الزلايات الشرقية بعيدا عن المدن:

وإذا تركنا المدن في الشرق فإننا نواجه الكتلة الضخمة من السكان الذين يعيشون في القرى. وهؤلاء لم يتأثروا الا بقدر ضئيل بحياة المدن

المتشرة فى أراضهم ولم يندمجوا فى حياتها. فظل لكل من الريف والمدن  
عالمه المستقل الى حد كبير.

فى آسيا الصغرى ألحقت الأراضى القريبة من المدن بها واعتبر ما  
بها من قرى وسكان قرويين جيرانا يعملون فى الأرض لصالح للدينة دون  
أن يكون لهم حقوق للمراطنة فيها. بالإضافة الى ماكان يملكه سكان المدن  
-خاصة القريبة من البحر- من مزارع صغيرة أو كبيرة يقوم على العمل فيها  
المالك بنفسه أو بعميده.

أما المساحات التى كانت غير تابعة للمدن ككل أو لسكانها كأفراد  
فقد كانت ملكا للإمبراطور وأسرته أو لأفراد من العائلات السيناتوروية الغنية  
أو للمعابد التى أقامها السكان الأصليين لألهتهم هنا وهناك، كانت الحياة  
بدائية فى الأراضى التى تتبع التصنيف الأخير. فالفلاحون زرعوا الأرض  
كمستأجرين أرقاء للأباطرة أو مستأجرين أحرار لأعضاء مجلس الشيوخ أو  
كمبيد مقدسين للمعابد. ولقد اتسعت بعض هذه القرى وزادت أهميتها  
الاقتصادية بل وحقق بعض الفلاحين درجة من الغنى. ومع ذلك فقد بقيت  
القرى مجموعات من الأكراخ يعيش فيها الفلاحون ودور للحكومة وبيوت  
للعامل حتى نهاية عصر الإمبراطورية الرومانية.

أما الرعاة الذين عاشوا على الجبال والهضاب فى أرمينيا  
وكبادوكيا فقد كانت حياتهم طليقة ينهبون ويسلبون ما يستطيعون  
ويزدون الجزية لكل من لديه السلطة والثروة القادرة على إخضاعهم.

وليس بإمكاننا أن نحدد على وجه اليقين الأراضي التي كانت ملحقة بالمدن وتلك التي لم تخضع لها ولكن المؤكد أن أودية الأنهار مثل هرموس ومياندر كانت أراضي للمدن وكذلك الأراضي القريبة من البحر. ومعاد ذلك قلت فيه المدن مثل بعض أجزاء كيليكيا وكبادوكيا وأرمينيا وكرماجين.

أما عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في سوريا فمن الصعب النظر فيها باعتبارها موضوعا واحدا. فالأراضي الأرامية الواقعة على تخوم آسيا الصغرى لها طبيعة تختلف عن طبيعة السراجل الفينيقية والفلسطينية والأراضي المجاورة للصحراء بما فيها من واحات واسعة خصصا واحات دمشق وتدمر. وهناك أيضا أراضي عبر الأردن المعروفة بالمدن العشر (ديكابولس) أما بلاد العرب النبطيين *Arabia Petraea* فكانت وحدة منفردة بذاتها.

والأراضي السورية من كل النواحي أرض معمورة مثل الوجود الروماني فيها فترة قصيرة من حياة امتدت آلاف السنين قبل وبعد الرومان. والرومان لم يقيموا ولم يكن في وسعهم أن يقيموا بتغييرات جذرية تؤثر في حياة هذه المناطق وسكانها. ومن هذا صار ضروريا أن نشير إلى ما كان سائدا في المناطق السورية قبل العصر الروماني حتى يمكننا التعرف على هذه الحياة خلال ذلك العصر.

في الشمال قامت أربع مدن كبيرة أنشئت جميعها في العصر  
السليرقى وهى أنطيوخ (أنطاكية) وسليوقية وأباميا واللاذقية تعرف بالمدن  
السرية الأربعة (تترابولس).

كانت أنطاكية عاصمة للمرك سوريا خلال العصر الهلينستى وبقيت  
عاصمة للبلاد خلال العصر الرومانى وهى من أكبر مدن الامبراطورية،  
وأراضيها الزراعية واسعة تعرف منها عشرة آلاف إقطاعية كانت ملكا لمجلس  
المدينة يوزعها للمواطنين.

ولكن القرن الرابع الميلادى شهد تركيز ملكية أغلب أراضى المدن فى  
أيدى عدد قليل من الأثرياء. وقد أقام هؤلاء الثراء دورا ريفية رائعة ذات  
مساحات متسعة وتدل أطلالها على متانة بنائها وتضم إسطبلات وحظائر  
للماشية وحجرات للمبيد فى الطابق الأرضى وتضم مخادع للملاك الأثرياء  
فى الطابق العلوى. وفى ذلك القرن كان ثراء المدينة عشر السكان بينما  
العشر الثانى يتألف من الرعاع والبقية كانت على ما يبدو من الملاك الصغار  
والتجار. أما المزارع فكان يعمل فيها صغار المستاجرين وأما مزارع الكروم  
فكان يعمل بها عمال زراعيين. ويبدو من كتابات القديس يوحنا فم  
الذهب أن هؤلاء الفلاحين كانوا أحرارا يعيشون فى فقر مدقع ولكنهم لم  
يكونوا أقتانا للأراضى. وكان الفلاحون الساخظون على إستعداد دائم  
للتمرد. ويبدو أن هؤلاء الفلاحين كانوا يعيشون فى قرى متناثرة فى  
الأراضى الزراعية التابعة للمدينة والمزكد أنهم من السكان الأصليين الذين

أقاموا هناك على مدى العصور ولم يحصلوا على حقوق المواطنة في المدينة. وقد استغل الرومان القرى كمصادر لأمداد الفرق المساعدة في الجيش الروماني بالجنود.

ويمكننا أن نقول بإطمئنان أن المدن الأخرى في شمال سوريا ولأراضيها الزراعية عاشت نفس الظروف. وإلى جانب المدن وقرائها قامت قرى حول معابد الآلهة وكانت هذه المعابد تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مثل معبد بيتراكاكي Bautocace الذي إمتلك قرية كبيرة وكان ملحقا بمدينة أباميا. كان المعبد يملك ويحصل على الدخل ويتمتع بإعفاء كامل من الأعباء. والمسئولون عن المعبد كانوا يشرفون على احتياجاته ويمثلونه في أية علاقات مع المدينة. وهناك معابد أخرى تمتعت بمزايا مشابهة كمعبد جرتر في دوليخي Dolichenus وهي قرية في شمال سوريا. ومعبد بملك وهناك أيضا مناطق ملكتها معابد تمتعت باستقلال أكبر.

وقد كون الإيترويون (١) في إقليمى إيبلا وخالكيس دويلتين خاضعتين للرومان في لبنان. بقيت الأولى حتى عهد كلوديوس ودامت

---

(١) هم غرب من قبل التاريخ إحتلوا لبنان وهرمون سو Massyas حيث قامت عاصمتهم خالكيس وهليوبولس مركزهم الدينى. إمتد نفوذهم في القرن الأول ق م إلى دمشق. واعترف بهمى ملكهم وكان يدمى بطلبيرس ولكن إنه Lysunias قتل على يد أنطونيوس عام ٢٥ ق م وضت ملكته إلى أملاك كليوباترة خضعت هذه البلاد لهيرود وخلفائه حتى لآخر القرن الأول الميلاد. وكان الإيترويون بدانيين يعيشون في قرى وشيهرين كرماة سهام وقد جند منهم عدد من الفصائل في الجيش الروماني.

الثانية حتى عهد تراجان. والمدن في هذين الأقليمين لم تكن أكثر من عواصم قررية لمناطق زراعية تحيا حياتها القديمة. أما المدن التجارية الكبرى كدمشق وحمص وتدمر فلم تصبح قط مدنا يونانية بالمعنى المتعارف عليه كما كانت أنطاكية مثلا، ولكنها ظلت كما كانت موطننا للملك كهان قامت حكوماتهم كما كانت الحال منذ القدم على عين الشعور الدينى لدى الفلاحين فى الشرق نحر مثلى الإله على أرضه وهم الكهان. حققت تدمر إمتدادا لسلطانها شمل إقليما كبيرا تزاوجت فيه القرى كما شمل بعض القبائل البدوية. وقد ورد ذكر هذه القرى التى لم تكن سوى ضياع يملكها كبار التجار فى تدمر فى (مكوس) تدمر التى ذاع صيتها. ولقد جاء من هذه القرى والقبائل الرماة الممتازون وراكبو الإبل السريعة من بين أجناد تدمر وجنود الجيش الرومانى وقد نمت بعض الأماكن كدورا يوروبس الرائعة على حدود منطقة تدمر والتى تحكمت فى الطرق الحربية والتجارية المزدية الى بارثيا فأصبحت مدنا ناجحة تحمى كل منها قلعة حربية. وهذه الصورة من المحتمل أنها تنطبق على دمشق، فكانت أراضيها تتاخم صيدا. أما حمص - كما هو معروف - فقد ظل يحكمها ملوك كهان من الطبقة الأرستقراطية الأصلية فى المدينة طوال حكم الرومان. وقد إندمج هؤلاء النبلاء - كما حدث فى تدمر ودمشق - فترة قصيرة فى سلك الأرستقراطية الامبراطورية وأظهروا نشاطا ملحوظا فى حل أعباء الإدارة فى الامبراطورية، وذلك قبل أن يرتقى إثنان

ذرى أصل سرية عرش الامبراطورية.

اما المدن الفينيقية فأخبارها قليلة خلال العصر الامبراطوري فيما

عدا ما نعرفه عنها في ميادين التجارة والصناعة.

اما فلسطين فيجب التمييز باتى البلاد وتلك المناطق المتهيلنة

على الساحل كغزة وأثيدون وعسقلان ويافا وتوليماس وعكا. وكذلك

المدن التى أقامها هيرود فى الداخل وعلى الساحل، ولاسيما قيصرية على

الساحل وطبرية وسباستى (السامرة) ونيابولس الرومانية (نابلس) التى

شيدت فى عصر متأخر. ويبدو أن المدن الفلسطينية المتهيلنة لم تكن بينها

وبين مدن سوريا وفينيقية إختلاف كبير. كما كان لكل مدينة مناطق

زراعية ملحقة بها يقيم فيها السكان الأصليون الذين كانوا يعتمدون على

حد كبير على عمل أيديهم كمورد رزق لهم.

ولكن الجزء الأكبر من يهودية والجليل والسامرة بقى كما كان

قرى يسكنها الفلاحون. إن ماسى مدنا فى يهودية ولا نستثنى من ذلك

لورشليم كانت مراكز دينية وإدارية فحسب قامت بدورها كمواصم لمناطق

ريفية وتشبه مثيلاتها فى مصر: والرجل كان يعتبر غنيا فى يهودية إذا

ملك عقارا أو قطعانا كثيرة من الضان والماز أو عمل فى جباية الضرائب.

والرجل العادى هو الفلاح الذى يكدح فى الحقل ويقال العمانع فى قرية

صغيرة للنجار والحداد والاسكاف وغيرهم.

وفى قرى يهودية والسامرة والجليل عاشت طبقة من السكان الأصليين من كبار الملاك مثلما كان الحال على عهد الميكانيين وكان قادة الحياة الدينية والحكام أيضا رأساليون وتجار يحفظون أموالهم فى معبد اورشليم. وأكثر من هؤلاء ثروة وغنى مرطنو الملوك والحكام الرباعيين ثم الملوك أنفسهم وأسرههم والحكام الرباعيون أنفسهم وأسرههم. وأخيرا تاتى ضياع الامبراطور الرومانى والأسرة الامبراطورية وعدد من المستعمرات الحرية الرومانية أتمامها نسيان بعد الحرب اليهودية. هذه الصورة للحياة فى فلسطين بقيت دون تغيير يذكر فيما عدا إزدياد عدد الملاك من غير اليهود.

وكما ذكرنا كان للناطق الخصبه فيما وراء نهر الاردن وفى حرران الحديثه والأراضى للجاررة الصحراوية التى تسكنها قبائل من العرب صورتها الخاصة. فالمنطقة الخصبه قامت فيها مدن يرنانية منذ أيام الاسكندر وخلفنازه. وكل مدينة صارت عاصمة لاقليم زمامى. وكان سكانها ملاك الأراضى. أكثر هذه المدن قام على انقاض قرى قديمة كان يقطنها السكان الأصليين وقد خضعت للملك من سكانها الأصليين متأخرين فى فترات إنسحلال الدولة السليوقية. بذلت الامبراطورية الرومانية جهودا متوالية لاستعمار للمنطقة برجال يشتغلون بالزراعة وأخضاع السكان الأصليين

وأغلبهم من العرب. وقد ازدهرت حياة هذه المنطقة بعد أن ساد السام الروماني وضمت مملكة النبطيين وحلت البرق الرومانية الجديدة محل طرق القوافل القديمة وحرستها حامية رومانية. وهكذا أصبحت المدن القديمة مراكز تجارية رانجة ولازال أطلال بصرى وجرش وفيلادلفيا تشهد بازدهارها.

واستقر الناس وزرعوا واستبدل العرب بخيامهم بيوتا حجرية وبمراعيهم حقولا تنبت الحب الوفير. ولما القبانل فقد بقي أغلبها مرتحلا وإن أقلعوا عن الاغارة والنهب. وضمت قرى عديدة خليطا من السكان من سوريين وعرب عملوا في التجارة مع البدو وغرسوا الزيتون والكروم وزرعوا الحبوب وصنعوا الأمتعة الصرفية.

وقد قاد هذا التطور الجنود العرب المسرحين من الخدمة في الجيش الروماني. والذين شهدوا أنظاراً ثانية ثم عادوا الى أوطانهم يحملون خبرات جديدة وقد جاء معهم كثيرون من الأجانب الى أستيطان القرى العربية.

وهكذا يمكن أن نقول أن عصر الامبراطورية الرومانية شهدت فيه البلاد السورية حياة متزعة النشاط نظرا لتنوع الظروف البيئية. ولكن بقيت سوريا تحت حكم الرومان كما كانت قبل دخولهم، فلم يتقدم بناء المدن تقدما يسترعى الانتباه. ولم تتأثر البلاد بالثقافة اليونانية بعيدا عن المدن

المتأثرة وانتقر بعض مكان الريف فى المدن ولكن أغلبهم عاشوا كما  
عاش أجدادهم مخلصين لأهنتهم ولعابدهم محافظين على تقاليدهم فى  
الحياة (١).

---

(١) رستوتزف ، م ، تاريخ للإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى.  
ترجمة زكى على و محمد سليم سالم ، القاهرة ١٩٥٧  
السيد احمد الناصرى ، للإمبراطورية الرومانية ، القاهرة .  
ول ديورانت ، قمة الحضارة ح ١١ قىصر والسبح للقاهرة ١٩٧٢

## ٤- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر

### خلال عصر الامبراطورية الرومانية

زاد التدخل الروماني في أمور مصر الداخلية منذ أوئل القرن الثاني ق م حتى أصبح ضم مصر الى أملاك الشعب الروماني مسألة وقت. لقد إنتظرت روما الوقت المناسب لضم مصر ولعلها لم تجد ضرورة للتعجيل بذلك فقد كان أمراء البطالة رهن إشارتها يرجون رضاها واعترافها بهم. وما يؤكد ذلك أن فكرة ضم مصر قد نوقشت في روما قبل الضم الفعلي بأكثر من ثلاثين سنة عندما إقترح كراسوس ضم مصر في عام ٦٥ ق م وتكرر هذا الطلب في عام ٦٤ ق م.

كان ضم مصر الى الامبراطورية حدثا جلا في حياة مصر الجديدة فقد فقدت إستقلالها كدولة وانتقلت عاصمتها الى روما وأصبحت مجرد جزء في إمبراطورية تتلقى أوامرها من تلك العاصمة البعيدة بينما لا تملك لنفسها قرارا. ويظهر عمق إختلاف الظروف في مصر مع سقرطها في أيدي الرومان من أن المستعمر الروماني حرص على الحصول على ضريبة سنوية تدونها مصر بعضها نقدي والبعض الآخر عيني. كانت هذه الضريبة باهظة تخرج من مصر بلاعودة بينما كانت الأموال التي تجمع على أيام البطالة تبقى في مصر مهما كان الخلاف على أسلوب إنفاقها أو صرورة هذا الإنفاق.

## سكان مصر

تدر عدد سكان مصر عند بداية الاحتلال الرومانى بسبعة ملايين ونصف. ومن المؤكد أن هذا العدد كان يضم الأغلبية السكانية المصرية المحكومة بجيش الاحتلال الرومانى. فضلا عن وجود أغراب كثيرين فى مصر مثل الافريق والمقدونيين وعناصر من اليهود والفرس والليبيين وغيرهم فضلا عن الرومان الحاكمين. وكان سكان مصر خلال العصر الرومانى ينقسمون من الناحية الرسمية الى فئتين :-

### الرومان:

وكانوا يضمون المرطفين الرومان وجنود الحامية. الرومانية فضلا عن رجال الأعمال الذين إرتبطت مصالحهم بمصر، وإن كان أهم المصادر الثلاثة التى يدفع الى مصر بمرططين من الرومان هو الحامية العسكرية . هؤلاء الشبان الذين جاءوا فى الغالب من الولايات المختلفة فضلا عن أبناء بعض الاسكندريين كانوا يقضون فى مصر ربع قرن من الخدمة العسكرية ثم يسرحون ويمتحون الجنسية الرومانية. أغلب هؤلاء الجنود كانوا يرتبطون بمصر بعد تسريحهم من الخدمة وقيمون فيها.

وقد إتصل هؤلاء الجنود بالمجتمع وتزوجوا منه ضد رغبة القانون. وكونوا فى النهاية جالية رومانية فى مصر إنضم اليهم أعداد من مواطنى الاسكندرية الذين اكتسبوا المراتنة الرومانية. وكان المواطنون الرومان فى

مصر يتمتعون بأوضاع متميزة عن بقية السكان. وكان يختار منهم كبار الموظفين وكانوا معفون من الخدمات الإلزامية والمحلية فضلا عن عدم خضوعهم لضريبة الرأس واعفاؤهم من بعض الضرائب الأخرى وتعلم من البرديات أن المواطنين الرومان (بصرف النظر عن أصولهم الأثلي) كانوا منتشرين في مصر. وقد استمرت هذه الوضعية المتميزة إلى أن منح الإمبراطور كراكلا حق المرطنة في أوائل القرن الثالث الميلادي لكل سكان الإمبراطورية.

#### المصريون :

وهو تعبير أطلق اصطلاحا على كل سكان مصر ماعدا الرومان فضم المصريين والإغريق واليهود والسوريين والفينيقيين والليبيين وبقايا الفرس وأصحاب أي جنسيات أخرى عاشوا وسط المصريين (١١). ولقد كان أساس التمييز بين الجنسيات هو الخضوع لضريبة الرأس وهكذا لم يميز سوى الرومان الذين لم يخضعوا لها. ومع ذلك فإن هذه الضريبة أعفى منها الإسكندرليون وفرق بين عدم الخضوع والأعفاء. ورغم أن كل ساكني مصر فيما عدا الرومان اعتبروا مصريين إلا أننا يمكن أن نرى حرما إجتماعيا يضم طبقات مختلفة ممن يطلق عليهم هذا الاسم. وكان أعلى الهرم الإسكندرليون وكانوا إغريقيا لو متأغرقين يتمتعون بالعديد من المزايا. فقد

(١١) يذكر هذا بالاصطلاح الذي أتلقه الجبرتي على لمرأ، المالك أثناء الحملة للفرنسية فقد اعتبرهم مصريين. بينما كانوا أغريبا في نظر أهل البلاد.

كانوا معنون من أداء ضريبة الرأس وكانوا أصحاب حق في الالتحاق بالجيش الروماني وكان لهم الحق في طلب الجنسية الرومانية. كما كان الاسكندريرن خارج الاسكندرية لا يخضعون لسطة المحافظ في محافظته وانا يتبعون رئيسه الذي يشرف على عدد من المحافظات ويدعى .Epistratigos.

لم يكن كل الاغريق والتأفرقين إسكندريين بل كان منهم من يعيشون بصفة دائمة في عواصم المحافظات بل وحتى في القرى. وقد نظر اليهم باعتبارهم أدنى منزله من مواطنيهم الذين عاشوا في الاسكندرية فخضعوا لضريبة الرأس وان كانت ذات قيمة مخفضة. وقد اجتمعوا في جميعات ثقافية وكذلك في الجنازيا المنتشرة في عواصم المحافظات حفاظا على أصولهم الثقافية وكانوا يمثلون أرستقراطية ريفية يتم اختيار مواطني الادارة المحلية من بينهم.

وهناك أيضا جالية يهودية تعتبر أقدم الجاليات الأجنبية في مصر. لقد كانوا اكثر هذه الجاليات عددا على العصر البطلمي واستمرت وخصيتهم على هذا المستوى في العصر الروماني بل وطالت صراعاتهم مع الاسكندريين وسعوا للحصول على الجنسية الاسكندرية دون فائدة. وكانوا يسكنون الحي الرابع من احياء الاسكندرية الخمسة. واعتبروا جالية عنصرية معترف بحقها في ادارة شئونها وكان لها رئيس ومجلس شيخ.

كل من سبق يشلون مجتسبين مجرد اقلبة سكانية فى بحر من  
الرواطنيين المصريين احفاد الفراعنة. هؤلاء المصريين استجروا فى حياتهم  
دون تغيير يذكر فيما عدا زيادة عىبى الضرائب عليهم حيث كانت حكومة  
الاحتلال الرومانى اكثر كفاءة من الحكومات الضعيفة فى اواخر عهد البطالمة.  
فقد استمرت الحياة فى القرى كما كانت من قبل والنيل يعطى فيضانه  
السئرى المخصب الذى يأتى فى بعض السنوات عاليا وفى بعضها الآخر  
شديد الانخفاض ولكن فى الاغلب كان يأتى مناسبا تماما لاعطاء محصول  
جيد.

### الحكومة الرومانية فى مصر:

لم تتغير نظرة المصريين الى حاكمهم الاعلى البعيد ومدى تدخله  
فى حياتهم. فقد نظروا اليه فى العصر الرومانى كما نظروا للملوك البطالمة  
من قبل بل والملوك الفرس ايضا باعتبارهم اسرا مالكة جديدة من الفراعنة  
الغرباء. ومن ثم استمر بناء المعابد وزخرفتها على الطراز للمصرى خلال  
الثلاثة قرون التى حكمها الرومان. ومثل الاباطرة على الجدران بالجلسة  
التقليدية للفراعنة، تحيط بهم رموز الملكية المصرية كالتاج الفرعونى  
والخرطوش الذى يحمل داخله اسم الحاكم بالهيروغليفيه، ونموص  
هيروغليفيه اضافة تكرر القاب الفرعون باعتباراه اينا لرع والمحبرب من بتاح  
وايزيس الخ..

. ولما لانجاز الحقيقة إذا ذكرنا أن تنظيمات الادارة وتطبيقاتها  
سواء المحلية منها أو المركزية هي التي طبعت مصر بطابع الولاية الرومانية.  
فمنذ عهد أغسطس، ونظرا لأن مهمة مصر الأولى في الامبراطورية الرومانية  
كانت إمداد مدينة روما بثلك إحتياجاتها السنوية من القمح، ولضمان  
استقرار الأمور هناك دون لية إضطرابات، عرملت مصر كما لو كانت ضيعة  
خاصة بالامبراطور. فرضت مصر تحت حكم رجل يدعى القائد  
Praefectus على عكس الولايات الأخرى التي كان يحكمها رومان وصلوا  
الى مرتبة القنصل. وكان القائد بذلك أقل درجة من حكام الأقاليم الأخرى.  
وحرص أغسطس على أن يعينه كممثل شخصي لجلالته وحرص كذلك  
على أن يكون شاغل هذه الوظيفة من طبقة الفرسان، وهي الطبقة التي  
كان يتسنى اليها بأصله كما أنها الطبقة التي كانت منذ البداية العمود  
الفكري الذي دعم حكمه. وتنفيذا لسياسته منع أيضا أي روماني من طبقة  
الشيرخ بل وحتى الفرسان - إذا كانوا مرطفين رسميين - من دخول  
مصر بدون إذن الامبراطور. وقد فعل أغسطس كل ما يستطيع للتقليل  
من أهمية وظيفة البرايفكتوس في نظر الطامعين، وكان هدفه الاساسي الا  
تصبح مصر مرة أخرى مقرا لمناس يطالب بالحكم كما كان الحال بالنسبة  
لأنطونيوس. أما بالنسبة للمصريين فقد كان الحاكم نابيا عن فرعونهم الذي  
يعيش بعيدا في روما.

أبتي أغسطس على التنعيم القديم لمصر الى نيف وثلاثين إتليبا  
إدريا- Nomes كان يحكم كل منها إستراتيجرس. ورغم هذا الاطار الذى  
لم يتغير فقد تغيرت سلطة المرطين فى الاقليم. فالمعروف ان الاستراتيجرس  
كانوا أيام البطالمة أصحاب سلطة عسكرية وسلطة مدنية أيضا. ولكن  
أغسطس جعلهم موظفين مدنيين فقط. أما القرات العسكرية فقد تم نشرها  
بالسرب إستراتيجسى فى كل الولاية ليس على الطريقة البطلمية بخلق جنود  
فلاحين يعيشون مع أهلهم فى ارض أقطمها لهم الملك، ولكن على النظام  
الرومانى الذين يقوم على الحياة فى معسكرات محصنة أو حاميات.  
عسكرت إحدى الفرق فى الاسكندرية والثانية فى بابليون -شمال ميس  
على الشاطى الأخرللنيل. وعسكرت حاميات صغيرة من الجنود فى مناطق  
حاكمة مختلفة، مثل مناطق الحدود والمحاجر والمناجم، وملتقيات الطرق  
الهامة ومخازن الغلال.

لقد كانت الحكومة المدنية التى حكمت مصر -منذ أقامها أغسطس  
وطورها خلفاؤه- رومانية بوضوح، ولكن موظفيها فيما عدا شاغلوا الوظائف  
العليا كانوا من بين السكان المحليين. وكانت لغة العمل فى الحكومة اللغة  
الأغريقية وليست اللغة اللاتينية. وفى الاسكندرية ضمت بطانة الحاكم عددا  
من الموظفين والضباط مزدوجى اللغة، كانوا يقومون بترجمة كل المراسيم  
الإمبراطورية من اللاتينية الى اليونانية لنشرها فى البلاد.

وبالنسبة للإدارة المحلية أبقى الرومان على بعض المسميات البطلمية لبعض الرطائف وإن كان قد نال إختصاصات هذه الرطائف من التغيير على أيدي الرومان مانال إختصاصات الاستراتيجية وبالنسبة لباقي الرطائف فقد إستحدثت تسميات جديدة ورطائف جديدة كلما دعت الضرورة الى ذلك، كما حكمت قواعد جديدة أوجها هامة في الاقتصاد والمجتمع والدين.

لعل ماسبق يكفي كإطار للتاريخ السياسي لمصر تحت حكم الرومان وفيما يلي نوجه إهتمامنا الى حياة السكان في مصر في مدنهم وقراهم.

### عواصم المحافظات:

كان لكل محافظة عاصمة تتركز فيها الادارة وكانت هذه العواصم تختلف فيما بينها من حيث المساحة وعدد السكان ومع ذلك. فالمركد أن هذه العواصم ضمت جمنازيرم وحمامات عامة ومسرح وبنك وعدة عشرات من المعابد فضلا عن خزانات للبياة يرفع اليها الماء بالطنبور على عدة مراحل ويقوم على تشغيلها ورديات من العمال، فضلا عن حوانيت متعددة وآلاف المنازل.

أغلب سكان عواصم المحافظات من الثراء يدعون أصلا إغريقيا سواء كان ذلك حقيقيا أم لا لأنهم كان مصدر فخر ومباهاة بينهم بل أنهم شكلوا

حياتهم على نمط المدن الاغريقية الأربعة في مصر. ولذلك خططوا مدنها على شكل رقعة الشطرنج وأنشأوا مباني عامة فخيمة ونصبوا الألعاب الاغريقية وأقاموا الأعياد للمعبودات الاغريقية. وبنهاية القرن الثاني الميلادي كانت أغلب عواصم المحافظات تعانى صعوبات فى تدبير كل المصروفات المطلوبة للانفاق على الأنشطة المختلفة. وكان سكان عواصم المحافظات يعبرون عن حبههم للانساء الاغريقي وازدرايتهم لكل ما هو قروي ومصري. ومع ذلك فما زال الغرض يحيط بالحد الفاصل بين مواطنى عاصمة المحافظة والمقيمين فى عاصمة المحافظة ولا يحملون مواطنتها. والمعروف أن الطفل عند ما كان يبلغ من الرابعة عشر يجب عليه أن يحدد حالة مع طلب لتسجيله فى طبقة والديه الاجتماعية.

كان سكان عواصم المحافظات قادرين على استخدام ثروتهم ليس فقط فى تحقيق إحتياجاتهم وراحتهم وإنما أيضا بطرق تربط بين الاسراف الواضح والمظهر الاجتماعي. فخلال الامبراطورية الرومانية كانت الصنورة المحبوبة للطاء والبذل فى سبيل المجتمع تتم باهداء المباني أو المرافق العامة أو زخرف مثل هذه المباني..الخ.

وإن كان المعروف أن عواصم المحافظات فى مصر لم تمارس قبل القرن الثالث أى صورة من صور الحكم الذاتى ومع ذلك فقد كان لمواطنى عاصمة المحافظة حق إختيار موظفين للقيام بهام عامة محدودة، وكان مسامحا لهم أن يكرموا باطلاق لفظ «الموظفون السامون» عليهم. وسعد

مواطنو عِراصم المحافظات بتضخيم الذات رغم أن المرشح لمنصب كان عليه أن يدفع رسوما عند حصوله على اللقب، كما كان يتحمل تكاليف المنصب كليا أو جزئيا من جيبه الخاص. والوظائف (السامية) في عاصمة المحافظة كان عددها ست، خمسة منها عرفت بنفس الاسم منذ عصر البطالة وهي الجمنازيارخ (حاكم الجمنازيوم) والمشرف على النظام Kosmetes والمدير Exegetes والأجورا نمررس (منظم الاسواق) والكاهن الرئيس Archiereus أما الوظيفة السادسة والتي عرفت لأول مرة في عصر الرومان فهي Eutheniarch مفتش التمرين وكان مسئولاً عن التأكد من سير أمور التمرين للمدينة يسر وعدم حدوث أزمات فيه.

في البداية كان مواطنو عواصم المحافظات من الأثرياء يتصارعون للفرز بأحد هذه الوظائف الشرفية. ولكن منذ النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي. تزايد عبء نفقات هذه الوظائف حيث بدت على إقتصاد مصر (أيضا الامبراطورية ككل) علامات لاتخطرها العين باتجاهه نحو التدهور، وبدأ رخاء كثير من عواصم المحافظات ينخفض. وصار تكليف الناس بهذه الوظائف يتم في بعض الاحيان بالازام.

وفي عام ٢٠٠ ميلادية عرف الهيكل الادارى في عواصم المحافظات تطورا رئيسيا عندما منح سيفروس كل عاصمة منها بولى Boule أو مجلس مدينة. وكانت هذه خطوة في طريق الحصول على مرتبة البلدية

الرومانية وهر. الخطرة التي تمت في القرن الرابع.

تشير الوثائق الى أن منازل المدينة كانت تضم طابقين وأحيانا ثلاثة طوابق، وتحدث أيضا عن منازل تضم اجنحة لاستقبال الرجال وأخرى للنساء، فضلا عن وجود مداخل بيواكى للاستمتاع بشمس الشتاء وبالراحة في ليالى الصيف وأبراج وسقائف ومختلف الاشياء التي صممت للراحة والانجم. وكانت بعض المنازل تستخدم الحجرات المظلة على الشوارع كحرايت هرر تنظيم ساد المدن في إيطاليا والولايات خلال العصر الرومانى. إستخدم الطمى فى بناء هذه المنازل وقد ساعد على ذلك قلة المطر. وقد إختلف سمك الحوائط الخارجية عن الحوائط الداخلية وغطيت الحوائط بملاط وزخرف سطحه بمناظر أسطورية بالوان زاهية.

ومنازل المدينة كانت تحصل على الماء من آبار حفرت فى ساحاتها تحملها أنابيب الى الحمامات ودورات المياه. وكانت حجرات النوم تقام عادة فى الطابق السفلى أما الأقبية فقد إستخدمت بصورة رئيسية للتخزين.

وقد إستخدم أهالى المدن ملابس ملونة لامعة، فالكسوة فوق أجسامهم ذات ألوان خضراء وحمراء مع تفضيل للون الأزرق بكل درجاته وملابسهم الداخلية كانت تصنع من الكتان. أما الملابس الخارجية فكانت من الكتان والصوف. وهناك أدلة وثائقية على زراعة القطن فى مصر من القرن الثانى الميلادى. أما المنسرجات الحريرية وهى ذات أصول صينية وهندية وكانت تستورد من فارس فكانت تستخدم لتزيين الملابس كالياقات

والحرفاء في ملابس الترف.

يلاحظ أن متوسط عدد أطفال العائلات في المدن التي ذكرت في إحصاءات السكان كانت تتراوح بين طفلين وثلاثة وإن كان عدد المواليد بلاشك أعلى من ذلك بكثير ولكن ارتفاع معدلات الرفيات بين الأطفال فضلا عن عادة الأغرير بترك الأطفال غير المرغوب فيهم يوترن بالاضافة الى استقلال شباب الأسرة عن عائلاتهم كل هذا يظهر العدد أقل من حقيقته.

كان الشباب يتزوجون في سن من حوالي الثامنة عشر الى العشرين والزوجات كن عادة أصغر منهم بعدة سنوات وعقود الزواج تبين الرغبة المخلصة للزوجين للحياة سريا بأخلاص وأن يراعى كل منهما حقوق الآخر، فالزوج يمد زوجته بكل ضرورات الحياة طبقا لإمكاناته والواجبات المتبادلة للزوجين كانت تكتب بتفصيل شديد. ويبدو أن الطلاق كان شائعا وعلى الأخص بين الأزواج الشباب. وعندما ينتهي الأمر بالطلاق فإن الزوج كان عليه أن يعيد كل شيء شملته الدرطة والهدايا المصاحبة والا فعليه أن يدفع قيمتها نقدا.

والاسرة في عاصمة المحافظة كانت تتكون من الوالدين والأطفال وربما بعض الأقارب والعبيد. وأغلب العبيد كانوا للخدمة المنزلية. حيث كان الفلاحون الأحرار مصدرا جاهزا لقوى العمل الموسمي في الزراعة والصناعة ويسلمار أقل. ومع ذلك فقد كانت هناك إستثناءات.

وأخيرا فنظرة الى النمرص الأدبية الباقية تبين أن أعمال كل

لدباء الاثريين المشهورين بل والكتاب الأقل شهرة ظلت تنسخ في مصر طوال فترة الحكم الروماني بل ولعدة قرون تالية. وعشر على نصوص لهرميروس وديمرسثينيس ويريبديس وهيزيود كما عثر على وثائق ذات محتوى أدبي أو علمي. وقد عثر في مصر أيضا على أقدم مخطوطة معروفة لاسفار المهد الجديد والكتابات المسيحية الأخرى. ورغم الاحساس بأن هذه الكتب كانت تقتنى لكي تقرأ ولكي تعاد قراءتها فإن هناك مايدل على قيام نشاط تمثيلي حيث عثر على مسرحية ليوريبديس من القرن الثالث الميلادي عليها ملاحظات للممثلين. وقد أنجبت هذه المراسم عددا من الكتاب مختلفي الشهرة والمكانة مثل اثينايرس جامع المنوعات من مواليد نوقراطيس. وأفلوطين من ليكوبولس (أسيوط) ومن المؤكد أن هؤلاء رحلوا الى الاسكندرية وروما لاتمام دراساتهم، بينما بقيت مواطن ميلادهم أرضا بورا من الناحية الثقافية.

وكان عدد الاميين في المدن أقل منه في الريف فمن بين ستمائة أمي سجلوا في عدة مئات من البرديات نجد ثلاثة من هذه المدن. بل أن هؤلاء يعرودن الى القرن الثالث الميلادي ويبدو أن عائلات حضرية كثيرة تأثرت بالازمة الاقتصادية للقرن الثالث كفت عن التعليم الذي كان واجهة إجتماعية هامة فيما سبق. بل أن عائلات حضرية أكثر وأكثر توقفت عن الترفع المطلق عن سكان المدن من المصريين، وبدأت الزيجات المشتركة تأخذ مكانها.

وبالنسبة للبنات فإن قرار التعليم لو عدمه يبدو وأنه كان قراراً شخصياً يتعلق بالقرويين أكثر من موقفاً إجتماعياً. إن المرأة التي كانت تقدر على الكتابة كانت تحس فخراً بذلك وكانت تسعى للتثوية بهذه الحقيقة.

ويبدو أن التعليم كان يبدأ في سن العاشرة وكان تعلم الكتابة يتم في المدن والقرية دون حاجة إلى مدرسة حيث كان يقوم بعض المبيد والنساء بهذا العمل. ولكن التعليم في المرحلة أعلى كان يتطلب فترة من الدراسة في الإسكندرية.

### قروى الفلاحين:

عاش الفلاحون مما في قري ونجرع. وكان عليهم أن ينتقلوا منها إلى مناطق حقولهم على أقدامهم أو فرق ظهور الحمير وبعض هذه الحقول كانت تقع على مسافات بعيدة. وكانت القرية في هيكلها العام كعاصمة المحانطة ولكنها أصغر حجماً. فالقرية تبدو في عيني الرائي من بعيد كرمة من الحوائط الساذجة مبنية من اللبن غارقة في الطبيعة. ولكن عندما يقترب المسافر منها فإنه سيكتشف أن هذه الحوائط لمنازل تقع في مجمرعات تفصلها شوارع ضيقة وأزقة.

وبالنسبة لغالبية الناس فقد كانت القرية هي موطنهم من المهد إلى اللحد. ولكن الفلاحين الذين يشرون كانوا أحياناً يبحثون عن حياة أفضل

واكثر تحضرا بان ينقلوا أسرهم لكي تعيش في عاصمة المحافظة، حيث يمكنهم أن يعيشوا حياة متحضرة كذلك التي يعيشها أهل المحافظة وأن يطوروا حياتهم بما يناسب ثقافة أهل البندر. وعلى الرغم من أنهم كانوا مستبعدين بصررة دائمة من الانضمام الى الطبقة المتميزة هناك بسبب أصلهم. لم يكن كل قرى يصيبه الشراء مشرق للإقامة في عاصمة المحافظة، بل كثيرون وربما الأغلبية كانوا يفضلون للبناء حيث كانوا عمد المجتمع المحلي. يعيشون في منازل تقترب من منازل المدينة في المساحة والزخرفة، وأعداد العبيد. وكان الراغبون منهم قادرون على الوصول الى مستريات راقية من التعليم والثقافة. وهذا يفسر وجود نسخ من مؤلفات هوميروس وهزود ويوربيديس وأفلاطون وغيرهم في أطلال القرى. بل وعندما أرادوا كانوا يحضرون راقصات من عاصمة المحافظة.

ولكن مهما كان عدد هؤلاء الأغنياء فلا بد أنه كان قليلا بالنسبة للعدد العام لسكان القرى. حيث كانت الأغلبية تعيش على الكفاف. ولقد كان الرجال والنساء والأطفال والخيرانات الستانة مكدسين في أحياء ضيقة ومزدحمة.

وبدراسة مابقى لدينا من وثائق إحصائية يمكن أن نقدر عدد سكان القرية بما بين أربعة آلاف وستة آلاف نسمة. وما لاشك فيه أن هذا كان تعداد القرى الكبيرة. فقد كانت هناك قرى صغيرة جدا يقل عدد الرجال فيها عن مائة رجل.

وبالنسبة لطعام القروى فقد تكون بصورة رئيسية من الثشويات التى يتم الحصول عليها من الحقل بالاضافة الى بعض النباتات البرية كاللوتس وأنواع من الثوم البرى وجذور البردى أما اللحوم فكانت ميسرة فقط لمن يربها ولمن يملك ثمنها. فضلا عن الأسماك. وهناك شك فى أن األبية الفلاحين كانوا يحصلون على إحتياجاتهم من السعرات الحرارية.

وبالنسبة للملابس فقد كان لدى من يستطيع منهم طقم واحد جيد على الأقل للمناسبات والاحتفالات أما ملابس العمل فكانت قمصان أو عباءات بسيطة. وعلى عكس أهل المدينة كان سكان الريف حفاة فى الغالب.

والأسرة المتوسطة فى الريف المصرى كانت تملك بعض مساحات الأرض الزراعية وربما لجأت نفس الأسرة الى إستئجار قطعة أخرى بمايكفى أفراد الأسرة.

وفى عدا عدد قليل ممن تمتعوا بالثراء فإن الحياة فى القرية المصرية ارتبطت لإرتباطا وثيقا بالاقتصاد الطبيعى ( نظام المقايضة ) وبالنسبة للضرائب والالتزامات الأخرى كان من الضرورى دفعها. تقدا. مثل هذه الأسرة كانت تعيش فى مستوى وسط بين الحياة السهلة والفقير المدقع.

إن الأفراد الذين كان لديهم فائض من الأرض لكى يوزجروها كانوا عددا قليلاً ونسبة مايملكون محدود جداً بالنسبة للأراضى الزراعية.

وقد إستمرت المعابد تملك بعض الأراضى رغم ما مادره أغسطس

من املاكها. أما معظم الأراضى فقد كانت ملك للدولة أو شخص الامبراطور. حتى ما كان مملوكا لرجال البلاط وأغنياء الاسكندرانيين ذهب مع نهاية القرن الأول الى الامبراطور.

وكانت الأراضى العامة تدار تحت إشراف الرسميين فى المحافظات والمحليات يعرضونها للايجار دوريا لمن يدفع اكثر. وعادة كان المستاجرون يعرفون بالفلاحين الحكرميين. وكانوا يزرعونها عادة بأنفسهم ولكن كان يمكن لهم أن يزوجوها من الباطن إن أرادوا. وكان المستاجرون يقدمون ضامين لهم من أصدقائهم لانتقارهم الى الضمانات المالية أو العينية.

كان مالك الأرض إذا كان فردا يضطر عند الضرورة بسبب عدم خصوبة أرضه أو بعد مكانها الى تخفيض الإيجار أو كان عليه أن يترك أرضه بغير زراعة فى ذلك العام.

ولكن أراضى الدولة والامبراطور فكانت محصنة ضد هذا المصير حيث كان يفرض على أراضى الخواص من الجيران أن يقوموا بزراعتها. بل حدث فى حالات المساحات الكبيرة أن فرضت الأراضى على القرية أو القرى المجاورة، وكان ذلك يتم عن طريق السخرة.

ونتيجة لطبيعة العمل الزراعى تبدد القرية للزائر الغريب ساكنة. ولكن هذا الهم سرعان مايبده إكتشاف الزائر لوجود نشاط من كل نوع حرفيون يعملون وأطفال يلعبون وزوجات تنجز أعمال المنازل أو تثرثن . وبعض المشاحنات تثور فجأة بسبب أضرار حقيقية لومتملة.

وليس هناك ما يمنع وجود لمن يحاول إستغلال الموقف بسرقة سريعة.

ولدينا عدد من الوثائق البردية تذكر حدوث جرائم سرقات وعنف وانكار بعض الحقوق. ومع ذلك فالمؤكد أن الأصل في العلاقات الانسانية في القرية كان الانسجام والتعاون. ولدينا خطاب من القرن الأول نرى فيه رجل يتوسل لآبيه من أجل العناية بزوجة صديق له عندما يقترب موعد وضعها لوليدها نظرا لغياب زوجها. وخطاب آخر من القرن الثاني يحمل عراطف دافئة تجاه معارف في مناسبة زفاف إينهم.

وأخيرا نلقى نظرة على المستوى الثقافى فى القرية والمؤكد أن الامية كانت منتشرة بشدة. ولكن يجب أن نلاحظ أن الامية هنا ربما كانت تعنى أمية باللغة الاغريقية ومع ذلك فإن ممارسة الكتابة بالخط الديسوطيقى بدأت فى الأختفاء فى القرن الثانى الميلادى.

ومع ذلك فقد عثر على مايدل على وجود البعض من يمكنهم قراءة وتقدير الأدب الاغريقى. ويؤكد ذلك العثور على أجزاء من المؤلفات الاغريقية بين أطلال بعض القرى. وكما رأينا من قبل فإن العدد القليل من القرويين الأثرياء كانوا يميلون الى تقليد حياة أبناء عواصم المحافظات وهذا الميل يشمل السعى لتعليم أبنائهم تعليما إغريقيا. ولكن الجر السائد فى القرية المصرية على العصر الرومانى ظل أميا. ومن هنا ظهرت وظيفة الكتبة المحترفين الذين كانوا يكتبون للناس معاملاتهم وخطاباتهم وتمطى

كأبائهم إنطباعاً بأن الأغلبية العظمى منهم يستطيعون أداء وظيفة الكاتب فقط دون أن يكونوا مثقفين.

## الزراعة:

الواقع أن مصر هبة النيل ولولاها لكانت أرض مصر صحراء مثل الأراضي التي تقع شرقها وتلك التي تقع غربها. والفيضان السنوي المنتظم كان يغطي الرادى حتى يشبه البحيرة لا تقطعها سوى المدن والقرى المتقامة على أراض مرتفعة. وكان الرخاء في مصر يرتبط بارتفاع النهر إلى ستة عشر ذراعاً ولكن إرتفاع النهر أكثر لو إنخفاضه بشدة كان يحمل المخاطر. ولدينا دليل من عام ١٩ ميلادية عن حدوث مجاعة في مصر جعلت تراجان يعيد بعض السفن المحملة بالقمح إلى مصر. ولأهمية النيل عرفت مصر مقياساً لقياس إرتفاع الماء.

والزراعة في مصر في ذلك الوقت إتبعت في الرادى نظام رى الحياض حيث كان الماء يغطي الرادى ثم ينسحب بعد إنتهاء الفيضان إلى داخل حدود النهر. فيقوم الفلاحون ببذر البذور. أما في الأرض الأكثر إرتفاعاً فكان يستخدم طنبرر أرخميدس ويزكد ديودورس إستخدامه في الدلتا. ولكن آلة الرفع القديمة كانت أكثر إنتشاراً وهي الشادوف ومع ذلك فإن مهارة الإنسان لم تستطع أن تنتج محصولاً معتاداً في عام ينخفض فيه ماء النيل عن الحد الأدنى المطلوب.

والسنة الزراعية في مصر تبدأ من شهر توت (٢٦ أغسطس) وتضم ثلاثة مراسم: الفيضان ثم البذر ثم الحصاد. وأهم المحاصيل المصرية القمح والشعير والأرز يستخدم لإنتاج الخبز والثاني في صناعة الجعة، فضلا عن زراعات نقدية كالكروم والخضروات والزيتون والبردي. والفلاح رجل ينرم بكل أعمال الزراعة ومع ذلك فهناك متخصصون في تقليم الكروم، وإن كان لا يجب أن تتصور تفرغهم لمثل هذه الوظيفة.

اهتم الفلاحون بتوثيق إتفاقاتهم مثل عقود الإيجار التي كانت لها صيغ محددة لضمان الحقوق والالتزامات بل وبعض الشروط الجزائية لمن يخالف نصوصها.

ورغم عمل الفلاح وإنتاجه لكافة المحاصيل فقد كان يتعرض للظلم فلا يبقى له من محاصيله بعد أداء الإيجار للأفراد أو الدولة والديون المتراكمة عليه أثناء العام الزراعي وإيجارات الأدوات والحيوانات والأقارب الذين يستعين بهم ولجور نقل محصره إلى مخازن الحكومة ثم إلى الميناء النهري أقول لا يبقى له بعد كل ذلك ما يكفي لطعامه ولدفع التزاماته تجاه الحكومة من ضرائب رأس وغيرها.

ولا يجب أن نذكر الزراعة دون أن نشير إلى حيوانات الحقل والدواجن التي إعتنى بتربيتها الفلاح للمصرى ومنها الأبقار والأغنام والماعز والخنازير وحيوانات الحمل كالجمل والحمار التي كان يستخدم جلودها فضلا عن وفرة من الطيور كالأوز والحمائم والدجاج الخ....

## انتاج البضائع والعمالة:

كانت مصر مشهورة بصناعتين من صناعاتها وهما الكتان وورق البردى وفي القرن الثالث ونتيجة للطلب الخارجى وسعت مصر انتاجها من الزجاج واصبحت بجانب سوريا- مصدرا كبيرا لتلك السلعة. تركزت هاتان الصناعتان فى الدلتا ولذلك فنحن نعرف قليلا من المعلومات عنهما بسبب قلة الآثار نسبيًا بسبب الرطوبة. ومن ناحية أخرى فإن صناعة النسيج موثقة جداً وبالرغم من نمر عدد من المصانع الكبيرة فإنها بقيت صناعة منزلية، تمارس فى كافة أنحاء البلاد. وكان النساجون للأنواع الفخمة من الكتان والذين يقومون بتدريب الصبية كانوا أرسقراطير الحرقة، التى كانت وراثية. ومع ذلك فالأولاد والبنات من عائلات أخرى -أحراراً وعبيداً- كانوا يبدلون التدريب ويتدربون عليها فيما بين الماشرة والثالثة عشر. وكان التدريب يستد لعامين.

ولدينا عقود تسجل تدريب صبية عند بنائين ونحاسين وصناع الحصر والمسامير والزمارين وقصص صرف النعم وغزل الصرف. بالإضافة الى وثيقة تتحدث عن ستة من العبيد يتعلمون الإختزال والنسخ والسكرتارية وكاتب خطابات وطباخ وحلاق وعامل اصلاح.

والصناع الذين غالباً ما يظهرون فى لوراق البردى فى العصر الرومانى هم البنائون وقاطعو الاحجار وصانعو الطرب والنجارون وعمال

الفخار وعمال المعادن والخبازون والجزائرون والحلقون وصانعو الاحذية  
والمصافرن والقائمون على رفق الملابس وعمال تطريز الملابس بعد النسخ، ثم  
يأتى بعد ذلك التجار وأصحاب المخازن وكان معظمهم يتعامل فى منتج  
واحد كبيع الزيت أو الخضروات أو الصرف أو الفاكهة وهكذا. ومع ذلك كانت  
هناك سوق لكل البضائع يباع فيه فى نفس اليوم سمك مدخن وحبال  
ومخدرات ونشا وحديد مشغول وأرجل مقاعد ومصبغة الأرجوان ووسائل  
السك وقطيل الاضياء.

كانت هذه هى المهن والحرف التى خدمت الاحتياجات الأكثر أهمية  
فى الحياة اليرمية ومسك الختام الحانوتى والقائم على التحنيط وحافر القبر.  
وكانت هناك مهن كثيرة إنتظم أصحابها فى نقابات وتخبيرنا الوثائق  
عن وجود نقابات لسائقي الحميز والقماشين والمصافين والنساجين وعمال  
الفخار وعمال الزجاج وناقشو الكتابة الهيروغليفية وقادة المراكب النيلية  
والبجارة وصناع الاحذية وتجار الملح وآخرين لم تسجل مهنتهم. وإنشئت فى  
القرن الرابع للميلادى نقابات لصناع الخبز ولحامى البرونز وتجار البيرة  
وتجار الزيت وهناك أخيرا مهنة المرضعة. المرضعة تأخذ الرضيع الى مكان  
إقامتها، مع وعد باطعامه وكسوته وامداده بكل شئ ضرورى للحفاظ على  
حياته. وإن مات أثناء فترة العقد فهى مرغمة أن تأخذ طفلا آخر لكى  
ترضعه، بدون أجر إضافى. وبالإضافة الى شروط العقد الاصلى أحيانا يجرى  
تحديد أمور أخرى بلكى لايفسد لبنها لايجب أن تكون لها علاقة بأى

رجل ولا ان تصبح حاملا ولا أن ترضع طفلا آخر) وكان أجرها أجر عامل غير ماهر. يدفع لها جزء مقدما والباقي على أقساط شهرية.

وكان هناك جميع لفنانى المسرح تمتع أعضاؤها بالحصانة الشخصية وأسبقية الجلوس فى المسارح وغيرها والاعفاء من الخدمة العسكرية والاعفاء من الالتزامات وعدم خضوع مكاسبهم للضرائب والحق فى ألا يجبر على إبراء أجنب لو أن يعتقل تحت أى دعاوى لو يكون عرضة لتوقيع عقوبة الأعدام عليه.

وبالنسبة للرياضيين كانوا يتمتعون بالشهرة والجوائز المالية وشهادات مواطنة فخرية ودخول كبيرة طول الحياة بالإضافة الى الاعفاء من الضرائب والخدمات العامة الالزامية.

وقبل أن نختم هذا الفصل نلقى نظرة سريعة على أصحاب المهن العلمية والاطباء الذين يظهرون فى الوثائق. ورغم عدم ذكر القابلة فى آلاف البرديات الا مرة واحدة فإن هذه المرة كافية لتذكيرنا بأن الفلاحين المصريين كانوا يلجأون اليها فى إحتياجاتهم الصحية. أما الادوية فأغلبها نباتي. وهناك إشارة عدة مرات للطبيب البيطرى. والمعروف أنه لم تكن هناك دراسة منتظمة لتخريج طبيب بيطرى ولكن كان هناك التجريب تحت إشراف صاحب خبرة. وقد عثر على اكثر من خمسين قطعة من أعمال طبية.

ومانعرفه عن للحامين أقل ما نعرف عن الأطباء.

### تعداد السكان والضرائب والخدمات الإجتماعية :

تخلى أغسطس عن نظام التسجيل السنوي للسكان الذي كان متبعا بمصر أيام البطالة وأقر بدلا عنه نظاما لتعداد السكان كل ١٤ سنة. وظل الفترة الزمنية يمثل الرقم المطابق للعمر الذي يتوقف عنده إعتبار الذكور المصريين قصرا ويسجلون لدفع ضريبة الرأس. وكان تعداد الأشخاص يتم تعديله طبقا للتغيرات التي تحدث من عام لآخر بمعرفة كاتب المدينة أو القرية.

أما نظام الضرائب فإتنا نواجه مجموعة هائلة من الضرائب والضرائب الإضافية التي تفرض على الفرد والأرض والمهن والخدمات والبيعات والتحويلات وحركة البضائع والناس والملكية العقارية والشخصية.

ومع ذلك فإن وطأة الحكم الروماني إستشعرها الناس ليس بسبب زيادة عدد الضرائب وإنما بسبب زيادة كفاءة التحصيل حتى يقال أن تيبيريوس الخليفة المباشر لأفطس وبخ حاكم مصر لأنه أرسل إلى روما إيرادات ضرائب تزيد عن الحصة المحددة فكتب يقول له "أريد أن يجزء صرف شيامي لا أن تسلم جلودها أحياء".

وكان الرومان قساة في جمع الضرائب كما يتضح من الوثيقة التالية التي كتبها شاهد عيان "عين مؤخرًا في منطقتنا جابي ضرائب، عندما يتأخر بعض الرجال في دفع الضرائب بسبب الفقر ويهربون خوفا من

العقاب كان ينزل العقاب بزوجاتهم واطفالهم وأبنائهم وأقاربهم ضربا ووطنا  
بالإقدام ... وكافة أنواع الامتهان ... ولكن جاني الضرائب لم يكن لتركهم  
قبل أن ينهدك أجسادهم بالمصر والعذاب لو أن يقتلهم بطرق جديدة  
للبرت. وعندما لا يوجد أقارب كان يمتد العذاب الى الجيران وأحيانا كان  
يسجن قرى بأكملها. وسرعان ما تصبح القرى مهجورة وتخلو من سكانها  
....

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان على الناس أن يقدموا إمدادات  
إضافية من الطعام والمعدات والتقل لدعم حروب الامبراطورية الخارجية فضلا  
عن إعاشة واستقبال الزوار المهمين وحاشياتهم وكانت الأخيرة تشمل جولة  
الحاكم وحاشيته سنويا.

وفي مصر طور الرومان نظاما للخدمات لم يكن له نظير في شموله  
في أنحاء العالم القديم، فكان يصل الى أبعد القرى ويفرض الخدمة على  
كل مستويات السكان.

وكما كان الحال بالنسبة للضرائب هناك من تمتع بالاعفاء من  
الخدمات مثل المواطنين الرومان وأغريق الحضرة والرياضيون وأصحاب  
الجوائز وأعضاء اللهن العلمية والآباء لخدمة أبناء والاشخاص الذين يعملون  
بمهن تعتبر ضرورية. وكان يتم إعفاء بقية أفراد الأسرة عن كل من لديهم من  
هر مكلف بخدمة حتى ينتهي منها. وكانت النساء والمحاربون القدامى  
وبعض الكهنة والسنون والمرضى معفون من الخدمات التي تتطلب جهدا

بدنيا.

واكتمل نظام الخدمات الالزامية على عهد تراجان عندما حول كثيرا من الضرائب الى خدمات إلزامية. نعرف حتى الآن حوالى مائة خدمة إلزامية كان يكلف بها الأشخاص مثل موظفى ورجال الشرطة فى القرية لور المدينة وجباة الضرائب وناقلى الحبوب ومفتشى الفيضان والحقول ومراتبى الاعمال العامة وتحصيل الضرائب والقيام بامداد المرطفين الزانرين بحاجاتهم ورجال البنوك بتسليم الاموال العامة، والأوصياء على القصر وأعضاء مجلس العاصمة والمرطفين السامين بها. كانت مدة التكليف الالزامى تتراوح ما بين عام وثلاثة أعوام يعنى بعدها الشخص من تكاليف أخرى لفترة سنوات ولكن تحت ضغط الظروف كانت الفترات البيئية تختصر.

وكان المكلف بخدمة إلزامية ترضع أمواله وأملكه تحت الحجز لصالح الدولة، وكان يزودى قسما بالاخلاص. بالاضافة الى عدد من الضمانات الأخرى منها ضماناة الأشخاص الذين رشحوه. وإذا جاوز خطأ القائم على التعمين حسن النية كان من الممكن إلزامه بدفع قيمة الأضرار.

والراضح أن الخدمات الالزامية كانت شيئا يرمى الناس الى تجنبه حتى لجأ الناس الى رشوة القاننين على الاختيار لتجاوزهم ومن كان يفشل فى تجنب ذلك كان يتنازل لمن يقبل القيام بالخدمة بدلا عنه من جزء من ماله بل وفى فترات الانهيار الاقتصادى فى القرن الثالث من كل ماله.

وعندما كان يزداد العنى على المصرى كان يهرب من قريت ويلجا الى الصحراء. وقد إستمر الرجال يهربون خلال كل قرون الحكم الرومانى واستمرت الحكومة تحصد مازرعه يديها قلة فى الايدى العاملة وتدهور فى الايرادات، وحالة تعبئة عسكرية نشيطة ضد عصابات السرقة المتعددة التى كرنها الهاربون من مكان الى آخر.

### المعبودات والعبادات:

عاش فى مصر على العصر الرومانى اجناس شتى، وكل جنس جاء الى مصر بثقافته ومعبوداته. إنتشر هؤلاء فى أصقاع مصر من أقصاها الى أقصاها وكان عليهم أن يتقربوا لمعبوداتهم بالملوات والاحتفالات والقرايين من وقت آخر. لم يكن هذا متاحا حيث المعابد المنتشرة كانت مصرية ومخصمه لمعبودات مصرية ولذلك كان على الاجناس الوافدة أن تتكيف مع الواقع الجديد وأن تستفيد بتجربة الاغريق الذين واجهوا نفس المشكلة قبل ثلاثة قرون. وفى النهاية بحثوا عن المعبودات المصرية التى تماثل صفات معبوداتهم وقدموا لها القرايين بأسماءها المصرية. أو بأسماء شبيهاتها الاغريقية. وقلت الاجناس للتعددة ما فعله الاغريق من قبل. فصاروا يقدمون للقرايين للكهة المصرية المقابلة لالهتهم بأسمائها المصرية أو بأسمائها فى تراثهم الخاص. وكان التنوع كبيرا فهناك الرومان وهناك اجناس من منطقة الهلال الخصيب ومن آسيا الصغرى فضلا عن الاغريق والمصريين.

ونجد ديودور الصقلي يذكر في هذا الموضع إن نفس الالهة التي يسميها البعض إيزيس ويطلق عليها آخرون ديمتير والبعض يسميها مانحة القانون وسيلين (القمر) وهيرا، والبعض يدعونها بكل هذه الألقاب مجتمعة وأطلق البعض على أوزوريس ديونيسوس والبعض أطلق عليه اسم بلوتو أو آمون وعدد يسمونه زيوس وكثيرون يسمونه بان.

ثم أضيف الى هذه المعبودات عبادة الأباطرة. وكانت تقام لها إحتفالات في المعابد بالإضافة الى الاعياد الدينية المصرية. وسراء كانت العقيدة المصرية تقام في البيوت أم في خارجها، جماعة أو فرادى، فإنها كانت مشبعة بالعناصر السرية والسحرية.

وفي العصر الروماني كانت القاعدة هي إتباع سياسة التسامح الديني ولذلك إستمر سكان مصر يعبد كل منهم آلهته، وإن تعرض اليهود لبعض المتاعب بسبب رفض عقيدتهم تقديس الأباطرة أو آلهة الرومان. ولكن الجديد في ميدان العقيدة في مصر حدث مع دخول المسيحية فقد حارب آباء الكنيسة منذ أيامها المبكرة عبادة الحيوان وسمى المسيحيون بعد الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا الى محاولة القضاء على الوثنية وساعدهم أن الامبراطور ثيودوسيوس (٢٧٩-٢٩٥) فرض المسيحية كدين وحيد في الامبراطورية. ونفذت الحكومة والرهبان هذه القرارات بحزم وحسم فأغلقوا المعابد بل وصل الأمر الى هدم المعابد كان ذلك في الاسكندرية والدلتا. ولكن سلطة الحكومة كانت قاصرة في الوجهة القبلى عن تحقيق ذلك بدقة

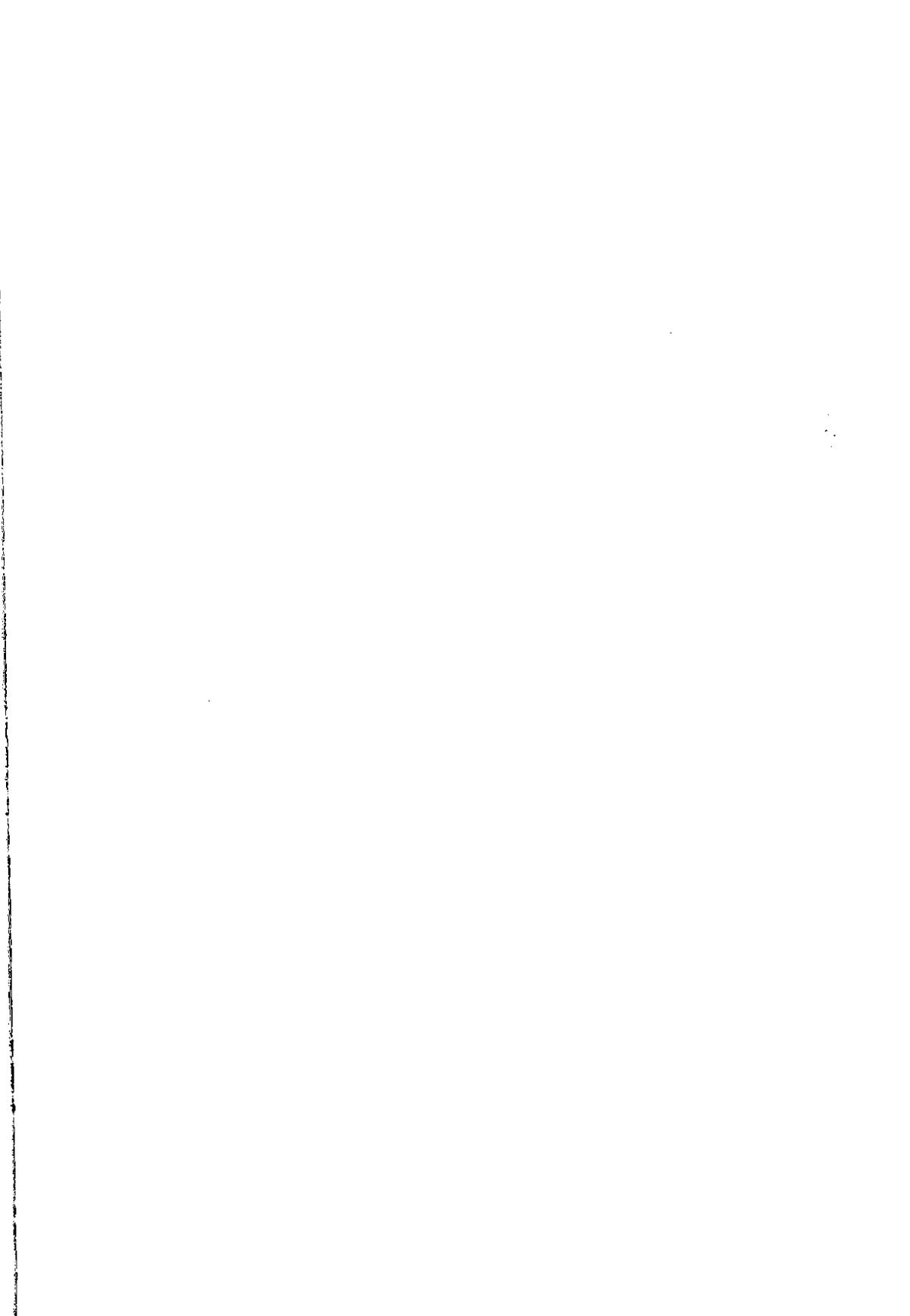
ومع هذا تجد على جدران المابد حتى اليوم بقايا محاولات إزالة صور  
للمبروك القديمة (١).

---

(١) نقلي أليس ، ترجمة فوزى مكارى ، مصر الرومانية ، القاهرة ١٩٦٢ م.  
فوزى مكارى وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧ م.  
إدريس، بل ، الهياكل في مصر من الإسكندر إلى الفتح العربي ، ترجمة زكي على  
دار المعارف القاهرة.

## خاتمة

تعتبر نهاية القرن الثالث نهاية للعصر الروماني حيث إنقسمت الامبراطورية بعد تنظيمات دقلديانوس السياسة الى نصفين شرقي وغربي. وبدأ النصف الشرقي الذي إتخذ عاصمته في القسطنطينية يحيى تقاليد الحضارة الاغريقية ودخل الشرق في عصر إصطلاح على تسميته بالعصر البيزنطي. وهو موضوع يتعدى المدى الزمني لاهتمام هذا الكتاب.



الشرق خلال العصر الهلينستي

أولاً: مراجع باللغة العربية:

- إدريس بل ، الهلينية في مصر من الاسكندر الى الفتح العربي  
ترجمة زكي علي ، دار المعارف بالقاهرة.
- زكي علي ، كليوباترة ، القاهرة بدون تاريخ.
- فوزى مكارى ، تاريخ الإغريق ، دار البيضاء ، ١٩٨٠م.
- فوزى مكارى ، قبرص تحت حكم البطالمة ، طنطا ١٩٨٥م

ثانياً: مراجع بلغات أجنبية:

- E. Badian, "Alexander the Great", *The Classical World* 65 (1971), 37-56 and 77-83...
- B. Bar-Kochva, *The Seleucid Army* (Cambridge, 1976).
- E. J. Bickerman, *Chronology of the Ancient World* (London, 2nd ed., 1980).

---

(٥) راجع ليذا ماذكر من مراجع لغرى فى الهرامش.

- D. J. Crawford, *Kerkeosiris: an Egyptian village in the Ptolemaic period* (Cambridge, 1971).
- W. S. Ferguson, *Hellenistic Athens* (London, 1911).
- P. M. Fraser, *Ptolemaic Alexandria*, 3 vols. (Oxford, 1972).
- P. Green, *Alexander the Great* (London, 1970).
- G. T. Griffith, *The Mercenaries of the Hellenistic World* (Cambridge, 1935).
- N. G. L. Hammond and G. T. Griffith, *A History of Macedonia*, vol. 2 (Oxford, 1979).
- E. V. Hansen, *The Attalids of Pergamum* (Ithaca, N.Y., 2nd ed., 1971).
- A. H. M. Jones, *The Greek City from Alexander to Justinian* (Oxford, 1940).
- Id. and others, *The Cities of the Eastern Roman Provinces* (Oxford, 2nd ed., 1971).
- R. Lane Fox, *Alexander the Great* (London, 1973).
- J. A. O. Larsen, *Greek Federal States* (Oxford, 1968).
- H. I. Marrou, *Histoire de l'éducation dans l'antiquité* (6th ed., 1965).
- O. Morkholm, *Antiochus IV of Syria* (Copenhagen, 1966).
- H. A. Ormerod, *piracy in the Ancient World* (Liverpool, 1924).
- C. Préaux, *Le monde hellénistique. La Grèce et l'Orient (323-146 av J.c.)*, 2 vols. (Paris, 1978).

M. Rostovtzeff , *The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3vols* (Oxford,1941).

W. W. Tam, *Alexander the Great, 2vols* (Cambridge,1948).

W. W. Tam and G.T.Griffith, *Hellenistic Civilization* (London,3rd ed .. 1952).

W. W. Tam, *Antigonus Gonatas* (Oxford,1913).

F. W. Walbank, *Aratos of Sicyon* (Cambridge,1933).

Id. *Philip V of Macedon* (Cambridge,1940).

id. *The Hellenistic World* (London,1981).

## الشرق خلال العصر الروماني

### أولا : مراجع باللغة العربية:

- إدريس بل، الهلينية في مصر من الاسكندر الى الفتح العربي، ترجمة زكي علي، دار للعارف بالقاهرة.
- السيد احمد الناصري، الامبراطورية الرومانية، القاهرة
- رستوفتزهف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، القاهرة.
- زكي علي . كليباترة ، القاهرة، بدون تاريخ.

• عبد اللطيف احمد على، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء  
الأوراق البردية، القاهرة.

• فوزى مكارى ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٩٢م.

• فوزى مكارى وآخرون، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧م.

• نفتالى لريس، ترجمة فوزى مكارى، مصر الرومانية، القاهرة ١٩٩٢م

• ول ديررانت، قصة الحضارة > ١١ قيصر والمسيح، القاهرة ١٩٧٢م.

### ثانيا: مراجع بلغات أجنبية:

*The Cambridge Ancient History*, edited by S.A.Cook, F.E.Adcock and M.P.Charlesworth: vii, *The Hellenistic Monarchies and the Rise of Rome* (1928) ; viii, *Rome and the Mediterranean, 218-133 B.C.* (1930) ; ix, *The Roman Republic, 133-44 B.C.* (1932) ; x, *The Augustan Empire* , 44 B.C.-A. D. 70 ( 1934 ) ; xi, *The Imperial Peace*, A. D. 70-192. (1936) ; xii, *The Imperial Crisis and Recovery*, A.D.193-324 (1939).

M. Grant, *The World of Rome* (1960).

A. H. M. Jones, *The Later Roman Empire*, 284-602 (3vols, 1964).

A. H. M. Jones, *A History of Rome through the Fifth Century* : i, *The Republic* (1968) ; ii, *The Empire* (1970).

N. Lewis and M. Reinhold , *Roman Civilisation* : i , *The Republic* (1951) ; ii, *The Empire* (1955).

A. H. McDonald, *Republican Rome* (1966).

Methuen's *History of the Greek and Roman World*, edited by M. Cary: iv, *A History of the Roman World, 753-146 B.C.* by H.H. Scullard (3rd ed. 1961); v, 146-30 B.C. by F.B. Marsh (3rd ed. revised by H.H. Scullard, 1963); vi, 30 B.C.-A.D. 138 by E.T. Salmon (5th ed. 1966); vii, A. D. 138 - 337 by H. M. D. Parker (2nd ed. revised by B.H. Warmington, 1958).

F. Millar, *The Roman Empire and its Neighbours* (1967).

Th. Mommsen, *The History of Rome* (Engl. trans. 1911) i.e. of the Republic; old, but a classic.

M. Rostovtzeff, *A History of the ancient World*, ii, Rome (1927, revised by E. Bickerman, 1961).

M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Roman Empire* (2 vol, 2nd ed. 1957, by P. Fraser).

J. Vogt, *The Decline of Rome* (1967).